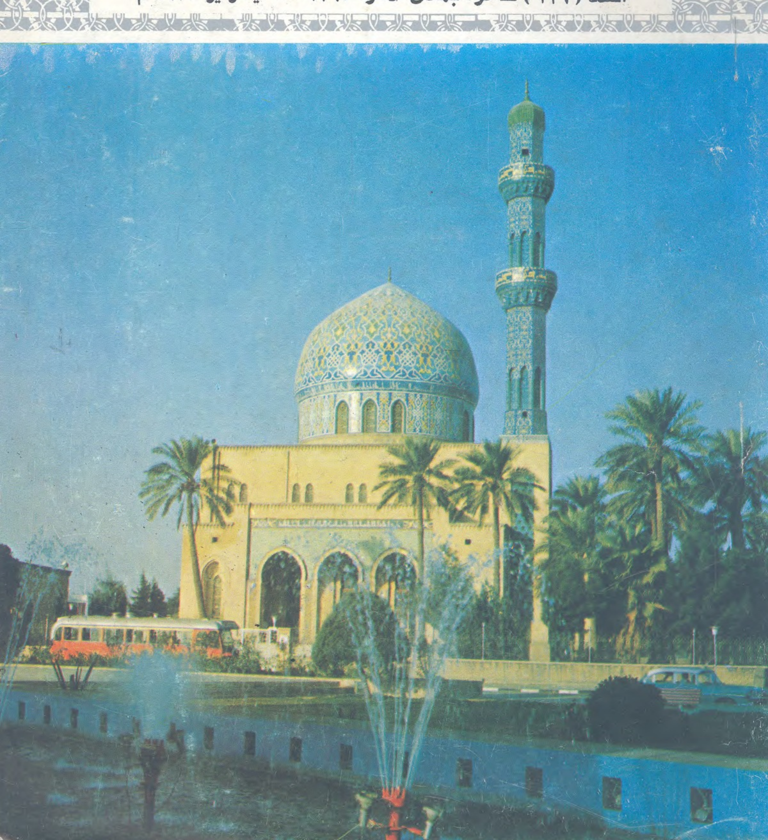
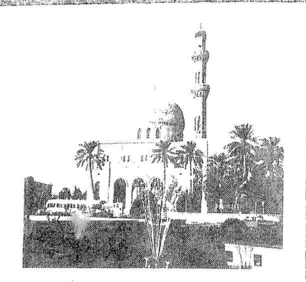
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٢٦) ـ غرة جمادى الآخرة ١٣٩٥ هـ ـ يونيو ١٩٧٥ م



اقرأ في هذا العدد



مسجد الشهداء
في بغداد
العراق

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافيــة شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 23667

السنة الحادية عشرة

العــــــدد : ١٢٦

غــرة جمــادى الآخــرة ١٣٩٥ هـ ــ يونيو ١٩٧٥ م

هــدفها : المــزيد من الوعي ، وايقــاظ الروح ، بعيــدا عن الخـــلافات المذهبيـــة والسياسية

تصدرها وزارة العدل والاوقاف والشئون الاسلامية

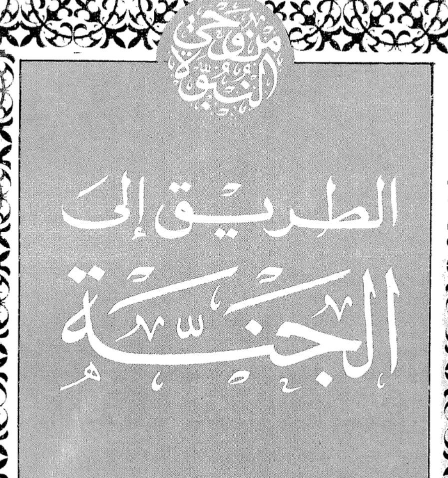
بالكويت في غــــرة كل شـــــهر عــــربي

عنــــــوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي ــ وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ ــ كويت ــ هاتــف : ٤٢٨٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم



عن أبى أيوب رضى الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله ، أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ، فقال القوم : ماله ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أرب" ماله ، تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم .. ذرها ...)) كانه كان على راحلته .

(رواه الشيخان)

للشيخ أحمد البسيونى

راوى الحديث صحابى جليل ، هو ابو أيوب الانصارى رضى الله عنه ، يصف لنا واقعة شهدها بنفسه ، وسجل فيها حوارا دار بين النبىصلى الله عليه وسلم ، وبين سائل اعترض طريقه ، وكان الرسول الكريم على راحلته ، فأمسك الرجل بزمامها ، حتى اذا توقفت عن المسير ، وجه إلى راكبها عليه الصلاة والسلام سؤاله ، وتلقى منه الجواب هديا نبويا كريما ، وارشادا الى اركان الإسلام ، وأمهات الفضائل ، التى تفضى بصاحبها الى الجنة . . . وقد شهد هذه الواقعة مع أبى أيوب ، طائفة من الصحابة ، وقد تملكهم العجب من جراءة السائل ، وقد اقتحم على الرسول طريقه ، وتشبث بزمام راحلته ، فأخذوا يتساءلون فى عجب ودهشة ، ماله ؟ ماله ؟ كأنما كبر فى نفوسهم ، أن يعترض رسول الله معترض ، وأن يحول بينه وبين مواصلة السير الى غايته ، حتى يتلقى الجواب على سؤاله الذى طرحه ، ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، هدأ من ثائرة أصحابه ، والتمس للرجل عذرا فيما فعل فقال لهم : أربٌ ماله) والأرب : الحاجة ، والمقصد ، أى : ان لهذا الرجل حاجةً ما هى التى دفعته الى هذا الموقف .. ان الرجل يريد أن يعرف الطريق الى الجنة ، والأعمال التى تأخذ بيده لتدخله الى ساحتها ، فيصبح من الوارثين ، الذين يرثون الفردوس ، هم فيها خالدون .. ثم شرع المعصوم صلى الله عليه وسلم ، يخبر السائل **بالعمل الذى يدخله الجنة فقال له :**

تعبد الله لا تشرك به شيئا .

والعبادة بحسب مدلولها اللغوى ، تعطى معنى : التذلل والانقياد والخضوع ، تقول العرب : طريق مُعبَّد اى مذلل ممهد ، تستطيع الاقدام ان تسير فيه بسهولة . **ومعنى** العبادة فى نظر الاسلام ، **انقياد** المؤمن لحكم الله ، **فيراه الله حيث** أمره ، ولا يراه حيث نهاه ، على ان يكون مبعث ذلك الحب لله تبارك وتعالى ، فالعبادة التى لا تقترن بهذا الحب ، لا وزن لها عند الله ، فلا بد أن يقترن الخضوع لله ، بالحب والرضى والإخلاص لوجهه الكريم ، والى هذا يشير قوله تعالى : **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما)** (النساء/٦٥) يقول الامام ابن القيم رحمه الله « فمن أحببته ولم تكن خاضعا له ، لم تكن عابدا له ، ومن خضعت له بلا محبة ، لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا » .

ومن هنا تتفاوت درجات الناس فى العبادة ، فمنهم المخلصون الذين

يلتزمون ما جاء به الاسلام ، ويتجهون فى أعمالهم واقوالهم لله وحده **(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين لــه الدين حنفــاء ، ويقيموا الصــلاة ، ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة)** (البينة/٥) ومن الناس من لا إخلاص لهم ولا متابعة ، وغاية همهم ، أن يفاخروا بأعمالهم السيئة ، كالبدع والضلالات ، وهم مع هذا يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله : **(لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحســبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم)** (آل عمران/١٨٨) . ومن الناس من تراهم مخلصين فى أعمــالهم ، مجدين فى ادائها ، يحسبون أنهــا تقربهم الى الله ، على حين انهم لا يزدادون بها من اللــه إلا بعــدا ، كالعبّاد الجهــلة ، والمنتسبين الى الصــوفية زورا ، يظنــون أن ترك الجمعة والجماعات ، والتزام الخلوة، عبادة تقرب الى الله ، أو أن مواصلة صوم النهار بالليل ، وقطع الصــلة بالدنيا ، والعزوف عن الزواج ، زهد وتبتل . . . ثم يأتى بعد ذلك المراءون الذين يفعلون الطاعات ، ويهجــرون الســيئات ، لا بوازع دينى ، ولكن لينالوا بذلك ثناء الناس ومحمدتهم ، كالرجل يصلى رياء ، ويقاتل حميــة وشجاعة ، ويتصدق مباهاة ، ويحج ليظفر بلقب « الحاج » فهؤلاء أعمالهم ظاهرها انها أعمال صالحــة مأمور بها ، ولكنها غير خالصة ، فلا تقبل عند الله لأنها خداع وزيف **(يخادعون الله وهو خــادعهم ، واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ، ولا يذكــرون اللــه إلا قليــلا)** (النســاء/١٤٢) .

وفى هذا الحــديث الشريف يربط الرسول الكريم بين العبادة ، ودخول الجنة ، وفى القــرآن الكريم آيات كثيرة ، تدل على هــذا ، منها قوله تعــالى : **(ونودوا أن تلكم الجنــة أورثتموهــا بمــا كنتم تعمــلون)** (الأعراف/٤٣) . **(ادخلوا الجنــة بما كنتم تعملون)** (النحل/٣٢) . **(هل تجزون إلا ما كنتم تعمــلون)** (النمل/٩٠) . وهذا يجعل العبادة فى نظر الاسلام واســعة الدلالة ، شاملة المعنى ، فليست هى كمــا يتوهم بعض الناس ، محصورة فى دائرة المسجد لا تتعداه الى دنيــا الناس ، إنها — فى نظرهم القاصر — ركوع وســجود ، وذكــر ودعــاء فحسب ! وهذا من الأفكار الخاطئة التى تحوم حول مبادىء الاسلام ، والإسلام منها براء . . . العبادة فى الاسلام ، معناها أن يؤدى الانســان واجبــه نحــو ربه ، ونحو نفســه وأسرته ، ونحو المجتمع الذى يعيش فيه ، فالصلاة عبادة ، والسعى على الرزق بالوسائل المشروعة عبادة ، والصلح بين الناس عبادة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة وعبــادة ، وأداء الواجبات الزوجيــة والأسرية عبادة ، والجهاد فى ســبيل الله ، ذروة سنام الاسلام ، والقمة العليا للعبادة ، وقد ذكر رسول الله صلىَ الله عليه وسلم فى أحاديثه الصحيحة

مجموعة ضخمة من الأعمال العادية التى يمارسها الناس فى حياتهم ، ثم خلع عليها ثوب العبادة ، متى صدقت النيـة ، وكان القصد وجـه الله تعالى ، وذلك كالأكل ، والشراب ، والنوم ، متى كان ذلك معينـا على النهوض بالواجبات ، وكذلك ممارسة العمـل الوظيفى ، وحفـر البئر ، وغرس الشجر ، واستنبات الزرع ، واصلاح الطرق . . ذلك كله عبادة . . وبهذا يتحول المجتمع الاسلامى الى مجتمع عامل ، لا مكان فيه لخامل أو متعطل ، ويتحول المسلمون جميعـا الى عمال ، يجمعهم العمل فى ساحته المباركة ، عاملين عابدين . . . ومن هنا كانت العبادة ، هى الغاية من خلق الله لعباده **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** (الذاريات/٥٦) ومن أجل العبادة ، أرسلت الرسل ، وانزلت الكتب ، وجعلت الجنـة والنار . والعبادة فى افقها السامى الوضىء ، تعنى : الاحسان ، وهو : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانـه يراك . . . واذا كـانت العبادة بهذه المنزلة السامقة السامية فان الشرك بالله — والعياذ بالله — انتكاس فى الفطرة ، وانطمـاس فى البصيرة ، وظلم للنفس عظيم **(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه ، يا بنى لا تشـرك بالله ان الشـرك لظلم عظيم)** (لقمان/١٣) . ومن اشرك بالله ، فقد قطع صلته بالقوة القادرة القاهرة ، التى تدبر امر هذا الكون ، ثم هو بعد هذا الانفصال الرهيب ، يضرب فى تيه من الضلال والحيرة ، تتقاذفه أمواج الضياع ، وتجتاحـه الريح العاتية فلا يعـرف له قرار **(ومن يشـرك بالله فكانما خـر من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)** (الحج/٣١)

وتقيم الصـلاة :

للصـلاة أثرها البعيد فى حيـاة المسـلم وسـلوكه ، فهـى الرباط الروحى ، الذى يصله بربه ، وهى نور يضىء عقل المؤمن وفكره ، ويشرق فى نفسه ، فيضفى على حيـاته الطمأنينـة والبهجة ، ويشـيع فى ضميره العفاف والطهر ، ويلقى فى وجدانه الصواب والصدق ، وصدق الرسول الكريم حيث يقول فى حديث رواه مسلم « والصلاة نور » وانهـا عملية تطهير يومية ، تنظف ظاهـر الانسـان وباطنه ، تنظف ظـاهره بالوضوء ، وتغسل باطنه من الأوضار والأوزار ، يقول صـلى الله عليـه وسلم فيما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هـل يبقى من درنه شىء » ؟ قالوا : لا يبقـى من درنه شىء قال : « فذلك مثل الصـلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » .

واذا أقام المؤمن صلاته محافظـا عليها ، خاشعا فيها ، قامت حاجـزا حصـينا بينه وبين المعـاصى **(وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** (العنكبوت/٤٥) ولا تزال به الصلاة ، حتى يستقيم منهجه فى الحياة ، وتتحول سيئاته الى حسنات

حيث لا مكان فى سلوكه لمأثم وانحراف **(وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات)** (هود/١١٤) . ومواقيت الصلاة الموزعة على ساعات الليل والنهار ، تقوم كنقطة الحراسة على درب الحياة ، تعصم المصلى من الزلل ، ولا تدع له فرصة ينفلت فيها من هذه المراقبة لأنه إما فى صلاة ، أو خارج من صلاة ليستقبل صلاة غيرها ، وبذلك تبقى روحه موصولة بالملأ الأعلى دائما .. ولعل هذا هو السر فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا أمر بلالا بإقامة الصلاة ، يقول : « أقم الصلاة ، أرحنا بها يا بلال » !! رواه احمد وأبو داود . والقرآن الكريم ، يعبر عن أداء الصلاة بإقامتها ، وفى ذلك إشارة الى أنه لا يكفى أن تؤدى الصلاة أعمالا واقوالا ، خالية من التدبر والخشوع ، فان معنى إقامة الصلاة تعديل أركانها ، والمحافظة على أوقاتها ، وفرائضها ، وسننها ، وآدابها ، من أقام العود : اذا عدّله وقومه ، فهو يأخذ وجهة واحدة ، لا انحراف فيها ولا زيغ ، والصلاة بهذا المعنى : معراج تعرج عليه أرواح المؤمنين الى أفق ملائكى رفيع، ومن ثم فهى العبادة الوحيدة التى لم تفرض فى الأرض ، ولكنها فرضت فى السماء ، وتلقاها النبى صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ، ليلة الإسراء والمعراج .. وهى زاد روحى ، يعين المؤمن على اقتحام ميادين الحياة ، وتحمل تبعاتها فى صبر وجلد ، لأن الإحساس العميق بالوقوف بين يدى الله ، والاستغراق فى مناجاته ، واستحضار عظمته وجلاله ، والضراعة الخاشعة فى دعائه ، كل ذلك يمد المؤمن بطاقة لا حدود لها من العون والعزم ، **(يايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين)** (البقرة/١٥٢) واثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة » رواه احمد وابو داود عن حذيفة .. واذا سيطر على البيئة جو الصلاة ، استقام امرها .. واذا نهض البيت المسلم على الصلاة ، شب ابناؤه على الصلاح والطهر ، واخذت الأسرة وجهتها الراشدة فى دنيا الناس ، ومن هنا يدعو القرآن الكريم الى الأمر بها ، وتحمل مشقة الدعوة اليها فى محيط الأسرة **(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)** (طه/١٢٣) . ويرشد الاسلام الى تعليم الناشئة الصلاة منذ نعومة أظفارهم ففى الحديث الشريف : « مروا أولادكم بالصلاة اذا بلغوا سبعا ، واضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » رواه أحمد وغيره والمصلى اذا خطا خطوات الى المسجد ، واندمج فى غمار الجماعة ، احاطت به وبمن معه كوكبة من ملائكة الله ، يصلون عليه ما دام فى مصلاه ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « صلاة الرجل فى

جماعته ، تضعف على صلاته فى بيته ، وفى سوقه ، خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة ، لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة ! » رواه البخارى .

وتؤتى الزكــاة :

الزكاة : ركن من أركان الاسلام ، وفريضة من فرائضه ، وهى إعطاء جزء من المال الذى تجب فيه الزكاة ، وهو الذى بلغ النصاب الشرعى ، وحال عليه الحول . وهى مأخوذة من « زكا » الشىء اذا زاد ونما ، لأن إخراجها سبب لنماء المال وزيادته ، وقد ورد أن الله تعالى يربى الصدقة وينميها ، ويضاعف الثواب عليها ، وفى الحديث : « ما نقص مال من صدقة » رواه مسلم وأحمد والترمذى أو هى مأخوذة من « زكت النفس » اذا طهرت ونظفت ((**قد أفلح من زكاها**)) (الشمس/٩) وذلك لأن إخراجها تطهير للنفس من رذيلة الشح وسيطرة المال وتطهير للمجتمع من الحقد ونوازع الشر . وقد قال تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**) (التوبة/١٠٣) والحكمة من فرضيتها ـــ على ما فيها من تطهير النفس وتنمية المال ـــ هى تقوية الروابط فى المجتمع الاسلامى، باعطاء الحق المعلوم ، للسائل والمحروم ، وبذلك يرتفع مستوى الفقراء ، فيصبحون أعضاء نافعين ومواطنين صالحين ، وتتقارب المسافة بينهم وبين الأغنياء ، فيصبح الجميع أسرة واحدة ، متكافلة متعاونة على الخير وتحقيق الصالح العام ، ومن هنا ، تذكر الزكاة بعد الصلاة ، حيث اجتمعتا فى القرآن والسنة ، لأن الصلاة ، تنظم صلة الانسان بربه ، ومتى تم له ذلك ، جاءت الزكاة ، لتنظم صلته بالمجتمع الذى يعيش فيه .. ومن اجل أن المال شقيق الروح ، كانت مغالبة النفس ، والانتصار عليها باخراج المال المحبوب لها ، اقوى برهان على قوة الإيمان وقد حث الله تعالى على إيتاء الزكاة ، ومدح الذين يؤدونها ، وبشرهم بالفوز والفلاح **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون**) (المؤمنون/١ــ٤). واكد الرسول صلى الله عليه وسلم وجوب اخراج الزكاة ، وتوعد الذين يبخلون بها فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله فرض على اغنياء المسلمين فى أموالهم بالقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا ، أو عروا ، الا بما يصنع أغنياؤهم ، الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ، ويعذبهم عذابا اليما» رواه الطبرانى . ولقد قاتل أبو بكر رضى الله عنه الذين امتنعوا أيام خلافته عن ادائها ، واكد ذلك فى

كلمته المأثورة : « والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول اللــه صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه » وحسب الــذين يستهينون بالزكــاة رادعا ، قول اللــه عز وجــل فى المشركين **(وويل للمشركين الــذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخــرة هــم كافرون)** (فصلت/٦ـ٧) فقد جمعت الآية بين مانعى الزكــاة والمشركين باللــه !

وتصــل الرحــم :

أمر الاســلام بصلة الرحم ، لأنــه حريص على وحدة المجتمع وسلامته، وعلى أن تسود علاقات المســلمين بعضهم ببعض روح المودة والتعاون، ودعامة المجتمع الأسرة ، فاذا كانت قوية مترابطة ، نهض المجتمع عــلى أساســها عــالى البنيــان مشدود الأركان .

والرحم ، قرابة الانسان واهله ، مأخوذة : من « الرحم » الذى هو وعاء الجنين فى بطن أمه ، وأعلى القرابة هم من جمعهم رحم أم واحدة كالإخوة والأخوات ، ولكن صــلة الرحم تشمل الأقارب مطلقا ، وهم من بينهم وبين الانسان نسب ســواء كانوا يرثونه أم لا يرثونه ، وصــلة الرحم معناها البر بهــم ، والعطف عليهم ، والإحسان اليهــم ، وذلك بحسب حالهم ، وعلى مقدار حاجتهم، وبقدر ما تسمح به طاقة الواصل . فقد تكون صلة الرحم بالانفاق عليهم إن كانوا فقراء ، ونصرتهم أن كانوا ضعفاء ، وتعهدهم بالتربية والتوجيه إن كانوا فى حاجة الى الرعــاية ، وهكذا تتسع دائرة الصلة ، فتشمل علاجهم اذا مرضوا ، والسؤال عنهم وزيارتهم إذا غابوا ، ومواساتهم إن نزلت بهم نقمة ، ومشاركتهم أفراحهم إن اصابتهم نعمة **(وأولو الأرحــام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله)** الأنفال/٧٥) .

ولصلة الرحم منزلة عنــد الله سامية ، فقد قال صلىالله عليهوسلم فيما يرويه عن ربه ، قال الله تعالى: « أنا اللــه وأنا الرحمــن ، خلقت الرحــم ، وشققت لها من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعهــا قطعته » رواه الترمذى وغيره .

كما بين صلى الله عليه وسلم أن لصلة الرحم آثارها الطيبة فى هذه الحياة ، ففيها طول العمر ، وســعة الرزق ، ودفع المكروه . يقول صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يمد له فى عمره ، ويوسع له فى رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء ، فليتق الله ، وليصل رحمه » رواه أحمــد ، وقد توعد الرسول الكريم قاطع الرحــم بالحرمان من رضوان الله ونعيم الجنة فقال عليه صلوات الله وسلامه : « لا يدخل الجنة قاطع » .

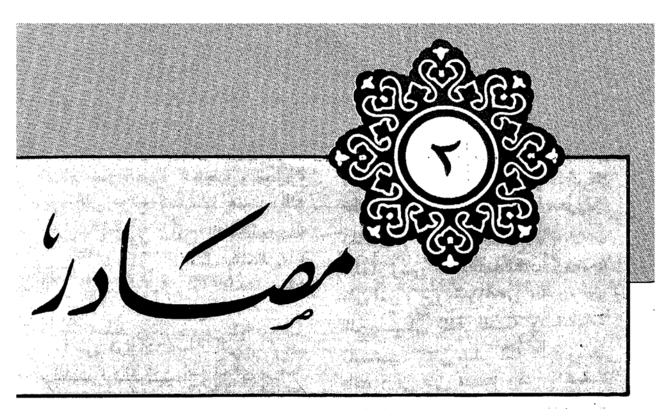
وصلة الرحم لا تأخذ مكانها فــى ميزان الله ، الا اذا كانت خالصــة من شوائب الغرض ، وجواذب المنفعة لا يراد بها الا وجه الله تعالى ، أمــا الذين يصلون أرحامهم ، لقاء مكافأة يتلقونها منهم ، واحسان يعود عليهم

فلا ثواب لهم على هذه الصلة ، لأنهم طلاب دنيا ، وتجار مادة !! امـــا الصلة حين يقطع القريب ويهجر ، فهى التى ترفع صاحبها عنــد الله درجات ، يقول صلى الله عليـــه وسلم : « ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها » رواه البخارى .

واعلى درجات صلة الرحم ، بر الوالدين ، وقد قرن الله تعالى برهما بعبادته سبحانه **(وقضــى ربك الا تعبدوا الا إياه وبالوالدين إحسانا)** (الاسراء/٢٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « رضا الرب فى رضا الوالد ، وسخط الرب فى سخط الوالد » رواه الترمذى ــ واما قول الرسول فى نهاية الحديث : ذرها فمعناه : خل بين الناقة وبين طريقها ، وكان الرجل قد استوقفها ممسكا بزمامها . .

ومن عجيب أمر الاسلام وحرصه على بر الوالدين ، أنه أمر ببرهمــا حتى بعد موتهما ، فقد روى أبو داود والبيهقى بسند صالح أن رجـــلا من بنى سلمة جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : « نعم ، الصلاة عليهمــا ــ اى الدعــاء لهمــا ــ والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما ، واكرام صديقهما » كذلك أوجب الاسلام البر بالوالدين ، ولو كانا كافرين ! **(وان جاهداك على أن تشــرك بى ما ليــس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا)** (لقمان / ١٥) وقد روى الشيخان عن أسماء رضى الله عنها قالت : قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله صـــلى الله عليــه وســلم ، فاستفتيت النبى صلى الله عليه وسلم قلت : ان أمى قدمت وهى راغبة ، أفأصل امى ؟ قال : « نعم ، صـــلى أمك » !

وهكذا يعلمنا الرسول الكريم بهذا الهدى النبوى الذى ساقه الينا فى الحديث الشريف ، كيف نحرر عقولنا بعبادة الله لا نشرك به أحدا سواه ، وكيف نطهر أرواحنا بالصـــــلاة ، واموالنا بالزكاة ، وكيف نبنى الأسرة المسلمة ، على الحب والتواصل لوجه الله . وبهذا يرسم لنا رسولنا العظيم بهذه المبادىء القويمة ، الطريق الى الجنة ، ليحفــز همم المسلمين الى التسابق اليها ، والمسارعــــة الى رضوان الله فيها ، والجنة : هى معقد الرجاء لكل مسلم والغاية التى يطمح اليها كل مؤمن ، وهى ســلعة الله الغالية ، وفى سبيلها يهون كل صعب ويرخص كل غـــال ، ويطيب كــل ســعى ، **(وفى ذلــك فليتنافــس المتنافسون)** (سورة المطففين/٢٦) .



للدكتور : محمد سلام مدكور

القرآن : مصدر قرا قراءة وقرآنا ، فهو مصدر على وزن فعلان بضم الفاء كالغفران وسمى به المفرد تسمية للمفعول بالمصدر ، وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فصار له كالعلم الشخصى، ويطلق بالاشتراك اللفظى على مجموع القرآن ، وعلى كل آية من آياته .

وقد سماه الله سبحانه بأسماء كثيرة منها : القرآن ، ومنها القرآن ، ومنها الكتاب ومنها الذكر ومنها التنزيل . ومن ذلك قوله سبحانه : ((... **لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ...**)) الفرقان من الآية / ٣٧ . وقوله : ((**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**)) البقرة/٢ وقوله : ((**تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**)) الفرقان/١ وقوله : ((**.. تنزيل من حكيم حميد**)) فصلت من الآية / ٤٢ وقوله : ((**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**)) الحجر من الآية / .

لكن غلب عليه اسم القرآن واسم الكتاب وتكررت هذه التسمية كثيرا ، وقد يكون فى هذه التسمية الغالبة انه يكون مقروءا أو مكتوبا ، وفى هذا اشارة الى وجوب حفظه فى الصدور وكتابته فى السطور حتى يتحقق وعد الله سبحانه بحفظه دون أن يتعرض لأى تحريف . وصدق الله: ((**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**)) . وفعلا فقد حفظه الله جيلا بعد جيل وحتى الآن دون أن يدخل عليه اى نقص او زيادة أو تحريف أو تبديل . واذا كان [وليم موير] يقول : إن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ظل اثنى عشر قرنا كاملة .. فاننا نؤكد له انه سيظل محفوظا ما بقيت الحياة رغم محاولات الاسرائيليين التى باءت بالفشل . مصداقا لقول الله سبحانه : ((**وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته ..**)) الانعام / من الآية ١١٥ .

والقرآن هو دستور البشرية الخالد ، نور الله فى أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود فى دولة الارض الى أن تدول ، وهو سلاحنا الماضى وقوتنا التى لا تغلب ، خاطب القلوب

التشريع الاسلامي

بالموعظة والعقول بالدليل والبرهان، هو كتـــاب تشريع وتنظــــيم لمجتمع متكامل ، وكتاب بلاغة وادب ، وفضلا عن انه لم يرد على انه كتاب يقرر نظريات فى شتى النواحى العلميـــة كالطبيعة والفـــلك والطب فانه اذا تعرضت آياته لشيء من ذلك عرضا فى ثنايا تقرير حكم عقائدى مثلا تجد العلم الحديث يكشف دائما عن سبق القرآن فى كل ما يصل اليه . فهو قد أتى بأصول العلوم وترك الباب مفتوحا للمشتغلين بالعلوم المختلفة .

وحسبنا فيه ما وصفه به الرسول الكريم اذ يقول فى حديث طويل أخرجه الترمذى عن الحـــارث بن الاعور : (.. فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصـــــل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصـــمه الله ومن ابتغى الهـــدى فى غيـــره اضلـــه الله وهو حبـــل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الذى لا تزيغ به الاهـــواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تتشعب معـــه الآراء لا يشبع منه العلماء ولا يمله الاتقيـــاء من علم علمه سبق ومن قـــال بـــه صدق ومن حكم به عدل ومن عمـــل به أجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم) .

اعجاز القرآن :

والواقع ان القرآن معجز بكل ما يتحمله هذا اللفظ . فهو معجز فى الفاظه واسلوبه وبيان نظمه مع إنه لم يخرج عن سنن كلام العرب الذين تحداهم به فعجزوا عن أن يأتوا بمثل اقصر سورة منه . لم يخرج عـــن سنن كلامهم الفاظا وحروفا وتركيبـــا واسلوبا ، ولكنه فى اتساق حروفه وطلاوة عبارته وحلاوة أســـاليبه وجرس آياته نسيج وحده . وهو معجز بعلومه ومعارفه من ناحيـــة حثه على التفكير والتدبر ومخاطبـــة العقول . فهو يجعل التفكير السديد والنظر الصائب فى الـــــكون أعظم وسيلة للايمـــــان ، وهو معجز فى تشريعه وصيانته لحقوق الانسان فلم يترك جانبا من جوانب الحيـــاة الا وتحدث عنه أو أشار اليه . كما لم يدع امرا من أمور الغيب الا بينـــه والمح اليه ، كمـــا انه يتقصى أبعـــد الجوانب فى القلب الانسانى فيتغلغل فيها بنظرة تلمس ادق الانفعـــــالات فيها ، وهو يتجه نحو ماضى الانسانية البعيد ومستقبلها ، كما يعلمهـــــا واجبات الحياة .

القرآن من عند الله باللفظ العربى :

والقرآن من عند الله ســـبحانه

بلفظه ومعناه ولذا فانه يتعبد بتلاوته ويجزىء في الصلاة ولا يجوز بحال تبديل لفظ من الفاظه أو حرف من حروفه مهما كان التبديل لا يؤثر في المعنى . يقول الله سبحانه : ((**أنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون**)) يوسف/٢ .

وكون القرآن عربيا لا يمنع من وجود بعض الفاظ فيه يختلف المفسرون في أصلها مثل (قسورة) في قوله تعالى : ((**فرت من قسورة**)) المدثر/٥١ . فقد روى ابن عباس : ان أصلها حبشي بمعنى الأسد ، وهكذا الفاظ كثيرة وردت في القرآن .. قال السيوطي انها تجاوزت المائة .

يقول الغزالي : ان اشتمال القرآن على بعض الفاظ أصلها أعجمي وعربت واستعملها العرب من قبل نزول القرآن لا يخرج القرآن عن كونه عربيا ولا شك أن العرب من أقدم الامم وان لغتهم من أقدم اللغات وانهم اختلطوا بغيرهم اختلاطا واسعا فلا مانع أيضا من أن تكون هذه الكلمات عربية الاصل وأخذتها بعض الامم الاخرى عن العربية ، ولذا فان الشافعي يقول : إن أحدا لم يقل انه أحاط بجميع ألفاظ العربية .

كيفية نزول القرآن وزمنه :

وقد ورد في كيفية تنزيل القرآن بلفظ عربي طريقان : أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من صورته البشرية الى صورة ملائكية وأخذه من جبريل . الثاني : ان الملك إنخلع الى البشرية حتى أخذه الرسول منه . والله تعالى قادر على أن يخلق لمن يشاء من عباده علما ضروريا بكلامه من غير توسط حرف وصوت ودلالة . فكلامه سبحانه يختلف عن كلامنا . سبحانه : ((.. **ليس كمثله شيء . وهو السميع البصير**)) الشورى من الآية/١١ .

وقد ثبت انه نزل في ليلة القدر من شهر رمضان ، ويروى ابن عباس أن القرآن نزل جملة واحدة الى السماء الدنيا في هذه الليلة ثم نزل بعد ذلك منجما على رسولنا الامين . ويروى الشعبي أن ابتداء نزول القرآن على الرسول كان في تلك الليلة ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجا مع الوقائع والمناسبات فليس للقرآن سوى نزول واحد .

وعلى كل فقد نزل القرآن منجما دفاعا عن عقيدة وتقريرا لحقيقة وبيانا لحكم أو جوابا عن سؤال أو استفتاء، وكان ينزل أحيانا بالسورة الكاملة وأحيانا بالآية أو الآيتين أو الثلاث .

والحكمة من نزول القرآن منجما تثبيت فؤاد الرسول على الحق وشحذ عزمه للمضي في دعوته فكلما اشتد ألمه لتكذيب قومه له نزل شيء من القرآن ناصرا له ومؤيدا . يقول الله سبحانه : ((... **كذلك لنثبت به فؤادك** ..)) الفرقان من الآية/٣١ .

كما أن في ذلك ما يساعد على تكرار التحدي به وتحقق الاعجاز فضلا عما فيه من التيسير على الرسول والناس في حفظه وتدبر معانيه ، كما أن في ذلك ما يجعله مسايرا للحوادث ، ويجعل التشريع متدرجا فلا يشق على الناس أيضا .

وكان نزول القرآن في أكثر من اثنتين وعشرين سنة في مكة والمدينة واستمرت فترة نزوله بمكة نحو ثلاث عشرة سنة نزل فيها أقل من الثلثين بقليل ، وكانت أغلب آياته في هذه الفترة توجه الناس الى عقيدة التوحيد ، وطابع الآيات المكية : القصر

والايجاز ليسهل على السامع وعيها ، وليكون لها من نغم الترتيل ما يجعلها أوقع فى التأثير وخاصة انها تخاطب فى الانسان العقل العاطفة والوجدان، كما تتميز بقوة العارضة الجدلية .

وكانت فترة نزوله بالمدينه نحو عشر سنوات نزل فيها نحو ثلث القرآن وكان أكثر ما نزل فيها يتعلق بالتشريع ، وتتميز الآيات المدنية بالطول غالبا اذ أن آيات التقنين تحتاج الى تبصر لاستنباط الاحكام منها ، فوق ما يلزم من طول لبيان علة الحكم .

ترجمة القرآن والتعبد بها واستنباط الاحكام منها :

الترجمة تطلق على معنيين :

١ ــ الترجمة الحرفية : وهذه لا يمكن حصولها مع المحافظة على سياق الاصل والاحاطة بجميع معناه وخاصة بالنسبة للقرآن ، فان فيه من خواص التركيب وأسرار الاساليب ما أعجز بلغاء العرب . وعلى هذا فالترجمة الحرفية تخرجه عن كونه قرآنا مهما بلغت دقتها .

٢ ــ الترجمة التفسيرية : وهى ترجمة معنى الكلام حسب مفهوم المفسر . وهذا أمر مستساغ بل هو واجب يقتضيه العمل على تبليغ الدعوة للناس كافة اذ ليس من اليسير ان نكلف كل من ندعوه الى الاسلام ان يتعلم اللغة العربية أولا . يقول الشاطبى : ان ترجمة القرآن من حيث معانيه الاصلية التى يستوى فى فهمها كل من عرف مدلولات الالفاظ وعرف وجوه تركيبها ممكن . ولذا فانه صح تفسير القرآن وبيان معانيه للعامة اتفاقا . وهذا الاتفاق حجة فى صحة الترجمة على المعنى الاصلى .

وعلى هذا فيجب ترجمة تفسير منتخب للقرآن الى جميع اللغات المختلفة حتى يتدبر الجميع ما فيه من معان وما جاء به من أحكام بقدر المستطاع . وفعلا فان المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية شكل لجنة من أفاضل العلماء فوضعت تفسيرا مناسبا منتقى بعيدا عن الاستطراد والحشو وعن عرض الخلافات والمناقشات اللفظية . كما شكل لجنة لترجمة هذا التفسير المنتخب الى بعض اللغات الحية . وهو عمل مشكور نرى أنه ينبغى للدول العربية والاسلامية أن تتعاون فيه حتى يمكن ترجمته الى كل اللغات .

والترجمة أيا كانت لا يصح الاعتماد عليها فى استنباط الاحكام، وما ذلك الا لأن فهم المراد من الآية يحتمل الخطأ لمن يعرف العربية ، ثم نقل ذلك المفهوم الى لغة أخرى قد يحتمل الخطأ اذ قد يؤدى الى أكثر من معنى لأنه من قبيل المشترك أو باعتبار حمله على الحقيقة أو المجاز ، الى ما فيه من عموم واطلاق واجمال واحتمال وغير ذلك .

والجمهور من الفقهاء لا يجيزون القراءة فى الصلاة بغير العربية مطلقا لأن الترجمة ليست قرآنا بحال ولا يلزم العاجز عن القراءة الا مجرد ذكر الله يقول الحافظ بن حجر : ان كان القارىء قادرا على التلاوة باللسان العربى فلا يجوز له العدول عنه ولا تجزىء صلاته بغير العربية، وان كان عاجزا فان العاجز لا يلزمه الا الذكر .

اما الحنفية فانهم يجيزون لغير القادر على القراءة بالعربية القراءة بغير العربية حتى فى الصلاة لانه قرآن من وجه باعتبار اشتماله على المعنى المفهوم . فالاتيان به أولى من الترك مطلقا .

القرآن من حيث الثبوت :

القرآن من حيث الثبوت مقطوع بقرآنيته لأن كل آية منه كان الرسول يعيها ويحفظها ويمليها على بعض الكتاب من أصحابه ممن عرفوا بعد بكتاب الوحى ، وحفظه الصحابة أيضا فى الصدور ـ وقد عرف العرب بقوة الحافظة ـ فضلا عن أنهم كانوا يتعبدون به ، وتناقله الناس حفظا وتلاوة وكتابة جيلا بعد جيل وحتى الآن .

واذا كان بعض الصحابة كعبد الله ابن مسعود عندما قرأ آية ((..**فصيام ثلاثة أيام** ...)) المائدة من الآية / ٨٩ ، فهم من النبى صلى الله عليه وسلم أن صيام هذه الأيام الثلاثة يجب أن يكون متتابعا دون فاصل بينها بأيام فطر فأضاف عند كتابتها كلمة [**متتابعات**] بقصد اظهار الحكم . فان هذه الزيادة لا تسمى قرآنا ولا يحتج بها . خلافا للحنفية الذين يرون الاحتجاج بها وان لم تكن قرآنا ، لأنها شبيهة بالسنة لأنها مترددة بين أن تكون خبرا أخبر به ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو مذهبا لابن مسعود . وعلى كلا الوجهين فهى حجة لانه ثقة وفقيه .

ومن هذا القبيل أيضا كلمة [ذى رحم محرم] التى ذكرها ابن مسعود وقيد بها الوارث فى آية : ((**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** ..)) .. الى قوله تعالى : ((**وعلى الوارث مثل ذلك** ..)) البقرة / ٢٣٣ . فقد قيد ابن مسعود الوارث هنا بأنه ذو الرحم المحرم .

ومن هذا القبيل أيضا ما أثبته أبى بن كعب فى مصحفه عند قول الله سبحانه وتعالى : ((.. **وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او أخت** ..)) النساء من الآية/١٢ فقيد الأخ والأخت هنا **بأنهما من الأم** .

فكل هذا لا يعتبر قرآنا اتفاقا ولا يحكم بكفر من ينكر هذه الزيادة ولا تصح الصلاة بها اتفاقا ، كما لا يصح الاحتجاج بها عند الجمهور خلافا للحنفية على ما قلنا . لأن كلا من ابن مسعود وأبى بن كعب اما أن يكون سمع ذلك القيد من الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه بيان وتفسير واما أن يكون ذلك باجتهاد منهم حملا للنص المطلق على نص آخر فى القرآن مقيد .

القرآن من ناحية دلالته على الاحكام :

ألفاظ القرآن منها ما هو واضح فى دلالته على المراد منه بنفس صيغته من غير توقف على أمر خارجى، وكل نص واضح الدلالة يجب العمل بما هو واضح الدلالة عليه . ولا يصح تأويل ما يحتمل التأويل منه الا بدليل وذلك مثل قوله تعالى : ((**ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد**)) النساء/١٢ فان دلالة الآية على أن نصيب الزوج فى تركة زوجته فى هذه الحالة النصف قطعية اذ كلمة نصف واضحة الدلالة على المراد فلا يكون هناك مجال أبدا للاختلاف فى مدلولها .

واذا كان اللفظ يحتمل التأويل والمراد منه ليس هو المقصود أصالة من سياقه سمى بالظاهر ومن ذلك قوله تعالى : ((**فانكحوا ما طاب لكم من النساء**)) النساء/٣ فالنص ظاهر فى اباحة نكاح ما حل من النساء لأنه معنى يتبادر فهمه من لفظ : ((**فانكحوا ما طاب لكم**)) .. من غير توقف على قرينة . وهذا المعنى غير مقصود أصالة . اذ المقصود هنا :

قصر العدد على الواحدة مع اباحة التعدد الى اربع عند القدره والعدالة .

وان كان اللفظ يحتمل التأويل والمراد منه هو المقصود من سياقه سمى بالنص . ففى الآية السابقة الكلام مسوق لبيان العدد الجائز جمعه فى العصمة بدليل قوله تعالى : **((فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة))** النساء/٣ فتكون نصا فى افادة العدد وان اعتبرت الآية من ناحية اباحة التعدد من قبيل الظاهر .

وان كان اللفظ لا يحتمل التأويل ويقبل حكمه النسخ سمى مفسرا مثل كلمة ثمانين فى قوله تعالى فى حد القذف **((فاجلدوهم ثمانين جلدة))** فان العدد لا يحتمل زيادة ولا نقصا .

وان كان اللفظ لا يحتمل التأويل ولا يقبل كلمة النسخ سمي بالحكم . لأن الحكم المستفاد منه : اما حكم اساسى من قواعد الدين لا يقبل التبديل كالايمان بالله ، أو من أمهات الفضائل التى لا تختلف باختلاف الاحوال : كبر الوالدين ، او من الاحكام الفرعية التى دل الشارع على دوامها كقوله تعالى فى عقوبة القذف **((ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا))** النور/٤ .

فأساس التفاوت فى مراتب الوضوح : هو احتمال التأويل وعدم احتماله فما لا يحتمل أن يفهم منه معنى آخر أوضح دلالة مما يحتمل أن يفهم منه معنى آخر غيره . فأوضحها على الاطلاق المحكم ، ويليه المفسر ، فالنص ، وأقلها وضوحا هو الظاهر .

ومن الفاظ القرآن ما هو غير واضح الدلالة فلا يدل على المراد منه بنفس صيغته بل يتوقف فهمالمراد منه على أمر خارجى ، والالفاظ من ناحية عدم الوضوح متفاوتة ايضا وأساس تفاوتها فى عدم الوضوح هو مدى القدره على ازاله ما فيها من خفاء .

فان كان اللفظ يدل على معناه دلالة ظاهرة ولكن فى انطباق معناه على بعض الافراد نوع خفاء تحتاج ازالته الى تأمل سمى : خفيا ومن ذلك لفظ (السارق) فى قوله تعالى : **((والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ..))** المائدة/٣٨ فان معناه ظاهر فى أخذ مال الغير خفية من حرز . لكن فى دلالة اللفظ على (النباش) الذى ينبش القبور لاخذ اكفان الموتى ، والنشال الذى يأخذ ما مع الشخص المتيقظ فىغفلة منه . شىء من الخفاء لاختصاص كل منها باسم خاص غير اسم السارق . مما يجعل دلالة لفظ السارق على كل منهما خفية وتحتاج فى ازالة الخفاء الى نظر وتأمل .

وان كان اللفظ خفيت دلالته على المعنى المراد منه بسبب فى نفس اللفظ لاحتماله لاكثر من معنى واحد ولا بد من وجود قرينة تبين المراد سمى بالمشكل .. ومن ذلك لفظ (قرء) فى قوله تعالى : **((والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء))** البقرة/٢٢٨ فان لفظ (قرء) مشكل فى الدلالة على المراد لأنه موضوع فى أصل اللغة لكل من الطهر والحيض . ولذا فان الأمر أشكل على الفقهاء فى عدة المطلقة من ذوات الحيض هل هى ثلاثة أطهار أم ثلاث حيضات .

وان كان اللفظ لا يدل بصيغته على المراد منه ولا توجد قرينة تعين المراد ولا مجال للعقل فى ادراكه ويتوقف ادراكه على بيان من الشارع نفسه الذى أجمله سمى مجملا . ومن ذلك كلمة هلوع فى قوله تعالى :

« ان الانســـــان خلق هلوعا » المعارج/١٩ ومثل كلمة صلاة وصوم وزكاة وربا من الالفاظ الاصـــطلاحيه التى نقلها الشارع من معانيهـــا اللغوية الى معان خاصة لا تدرك الا ببيان من المشرع .

وان كان اللفظ لا تدل صيغته على المعنى المراد منه وتعذرت معرفتــه ولم توجد قرينة تعين على معرفته ولم يبينه الشارع لنا وانما استأثر بعلمه سمى متشـــابها . وذلك مثل اوائل بعض السور ، وكالالفاظ الواردة فى القـــرآن التى تنسب الوجه واليــد والجلوس الى الله **« يد الله فـوق أيديهم »** الفتح/١٠ ، **« كل شىء هالك الا وجهه »** القصص/٨٨ ، **« الرحمن على العرش اســـتوى »** طه/٥ ، **« واصنع الفلك باعيننا »** هود/٣٧ .

ومن الواضح أن اكثر هذه الالفاظ فى عدم الوضوح هو المتشابه الذى لم يبينه الله وانما اســـتأثر بعلمه ويليه فى ذلك المجمل الـــذى بينت السنة ما فيه من اجمال . ثم المشكل . ثم الخفى .

أعمال النص بمفهومه ومنطوقه :

والاصوليون يوجبون العمل بكل ما تدل عليه آيات الاحكام بعبـــاراتها وحروفها ، وما يفهم من اشارتها ، وما يفهم من روح النص ومنقوله وهو ما يسمى بدلالة النص أو مفهـــوم الموافقة كما يجب العمل بمقتضى النص الذى لا يستقيم الكلام الا بتقديره . اذ كلها طرق من طرق الدلالة التى قررتها اللغة . والاقتصـــار على بعض طرق الدلالة يعتبر تعطيلا من بعض الوجوه للنص وهو غير جائز . وقد بينا كل ذلك تفصيلا فى كتابنا « أصـــول الفقــه الاســـلامى » وانا نكتفى هنا بهذا القدر من الكلام عن القرآن من ناحية الدلالة حيث أن المجال لا يتسع لاكثر من ذلك .

منهج القرآن فى بيان الاحكام :

والقرآن فى الغـــالب وقف عند القواعد الكلية دون تفصيل أو بيـــان وخاصة بالنسبة لمسائل المعـــاملات المالية وما يتعلق بالقضـــاء وعلاقة الدولة الاسلامية بغيرها فى السلم والحرب وما شابه ذلك مما يتغـــير بتغير البيئة . فان القرآن دل عليها بوجه عام حتى يكون ولاة الامر فى سعة من أن يفصـــلوا قوانينهم فيها بما يتفق مع مصـــالحهم فى حدود اسس التشريع .

والاحكام التى جاء بهـــا القرآن متنوعة فمنها أحكام العقائد التى توجه ناحية الايمان ، ومنهـــا الاحكام الوجدانية التى تعمل على تهـــذيب النفوس وتقويم الخلق، ومنها الاحكام العملية التى تتعلق بما يصـــدر عن المكلفين من اقوال وافعـــال على ما ذكرنا قبل .

ومنهج القرآن فى هذا متنوع حتى يكون ادعى الى القبول وابعث الـــى الامتثال . فله طرق فى بيان أوامره ونواهيه . فقد يكون الامر بالمضارع المقترن باللام : **« وليخش الـــذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا .. »** النساء/٩ قد يكون بصيغة فعل الامر **« عليكم أنفسكم .. »** المائدة/١٠٥ وقد يكون بالمصدر الدال على الطلب **« فضرب الرقاب .. »** محمد/٤ وقد يكون بالجملة الخبرية **« والوالدات يرضعن أولادهن .. »** البقرة/٢٣٣ وكثيرا ما ترد بصيغة افعل **« وأقيموا الصلاة .. »** المزمل/٢٠ كما يـــكون ببيان ما فى الشىء من خير ، أو ما يترتب عليه من خير **« ولئن صـــبرتم لهو خير للصابرين »** النمل/١٢٦ ، **« ذلكم خير لكم »** الجمعة/٩ .

ومن هذا تلمس تنوع الاســـاليب

وتحس في ذلك بمتعة وحلاوة ، وتقبل بارتياح لكل هذه التكاليف من غير تبرم ودون استنكار لها او استثقال . ومن وراء ذلك التنوع يجد الفقهاء مجالا فسيحا للنظر والتأمل عند استنباط الاحكام .

وقوع النسخ في القرآن وموقف الفقهاء من ذلك :

من معاني النسخ في اللغة الإزالة والابطال ، كما يطلق على النقل والتحويل ، وقيل إنه مشترك بين هذين المعنيين . وفي اصطلاح الفقهاء والاصوليين يعرف بعدة تعريفات منها أنه : رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر .

ولم يخالف في اثبات النسخ من ارباب الشرائع سوى اليهود ، كما لم يخالف في اثباته من المسلمين سوى ابي مسلم الاصفهاني محتجا بقوله تعالى في سورة فصلت : **« لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. »** فلو نسخ بعض القرآن لتطرق اليه البطلان وهذا محال .

لكن يرد هذا قوله تعالى في سورة **« ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها أو مثلها »** البقرة/١٠٦ ، وبما وقع فعلا : فقد كانت القبلة أولا الى بيت المقدس ثم نسخ ذلك واصبحت القبلة هي الكعبة : **« سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب .. »** البقرة/١٤٢ الى قوله جل شأنه **« قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام »** البقرة/١٤٤ .

كما أن الحكم كان تقديم الصدقة حين مناجاة الرسول كما يدل على ذلك قوله تعالى في سورة المجادلة : **« يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة »** المجادلة/١٢ . لكن ذلك الحكم نسخ بقوله تعالى بعد ذلك : **« أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله »** المجادلة/١٣

وقد يكون النسخ كليا بالنسبة الى كل الافراد كابطال اعتداد المتوفى عنها زوجها حولا وتكليفها بأن تعتد بأربعة أشهر وعشرة أيام . فقد كان النص الواجب تطبيقه هو قوله تعالى في سورة البقرة : **« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول .. »** البقرة / ٢٤٠ وجاء قوله تعالى في نفس السورة : **« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا »** البقرة/٢٣٤ .

كما يكون النسخ جزئيا بالنسبة لبعض الافراد ومن ذلك نسخ حكم القذف بالنسبة للازواج بتشريع اللعان . وكما يكون النسخ صريحا فانه ضمنيا يفهم من تشريع حكم متأخر معارض لحكم متقدم مع تعذر التوفيق بين النصين الا بالغاء أحدهما على ما بيناه في كتابنا « أصول الفقه الاسلامي » .

ولا خلاف بين القائلين بالنسخ في ان القرآن ينسخ بعضه بعضا ، وكذلك بالنسبة لكل من الخبر المتواتر وخبر الآحاد من السنة . لكنهم اختلفوا في نسخ القرآن بغيره ، كما اختلفوا في نسخ المتواتر من السنة بالآحاد ، كما أن الشافعي منع نسخ القرآن بالسنة مطلقا ونسخ السنة بالقرآن أيضا على ما سنبينه في مقال آخر عن السنة باعتبارها المصدر الثاني للتشريع الاسلامي .



الربانية

للدكتور يوسف القرضاوى

تحدثنا فى العدد الماضى عن المعنى الأول للربانية : وهو ربانية الغاية والوجهة ومالها من آثار فى النفس وفى الحياة . واليوم نتحدث عن :

ربانيــة المصــدر والمنهج :

المعنى الثانى للربانية : وهو ربانية المصدر والمنهج . ونعنى به ان المنهاج الذى رسمه الاسلام للوصول الى غاياته واهدافه منهج ربانى خالص ، لأن مصدره وحى الله تعالى الى خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم .

لم يأت هذا المنهاج نتيجة لارادة فرد ، او ارادة اسرة ، او ارادة طبقة ، او ارادة حزب ، او ارادة شعب ، وانما جاء نتيجة لارادة الله ، الذى اراد به الهدى والنور ، والبيــان والبشرى ، والشفاء والرحمة لعباده . كما قال تعالى يخاطبهم : « **يايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا** » النساء ١٧٤ ، « **يايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** » يونس ٥٧ .

وقال يخاطب رسوله :

« **وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** » . الانبياء ١٠٧ .

« **... ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمــة وبشرى للمسلمين** » . النحل من الآية ٨٩ .

« **كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد** » . ابراهيم . الآية / ١ .

موضع الرسول من هذا المنهاج الالهى :

الله تعالى هو صاحب هذا المنهاج ، ولهذا يضاف اليه فيقال : المنهاج الله او « صراط الله » علــى حــد تعبير القــرآن العزيز . واضافته الى الله تعنى ان الله ــ جل شأنه ــ هو واضعه ومحدده ، كما انه غايته ومنتهاه .

اما الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهو الداعى الى هذا المنهاج او هذا الصراط ، المبين للناس ما اشتبه عليهم من امره . يقول تعالى يخاطب رسوله : « **وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط**

٢

مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض الا الى الله تصير الأمور » . الشورى ٥٢ ، ٥٣ .

ويقول تعالى : « **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لى أن ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبلــه أفــلا تعقلون ؟!** » يونس ١٥ ، ١٦ .

ويقول : « **والنجم اذا هوى . ما ضلّ صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى** » . النجم ١ ــ ٤ .

ومن تدبر القرآن وجد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيه مجرد عبد مأمور تخاطبه سلطة اعلى منه ، محيطة به ، قادرة عليه ، تملك عتابه ولومه اذا اجتهد فأخطأ فى بعض الأمور ، كما فى قصة ابن ام مكتوم ، وأسرى بدر ، والمنافقين المتخلفين فى غزوة تبوك ، وزينب بنت جحش ، وغيرها . فالحقيقة أن القرآن هو كلام الله وحده وتنزيل رب العالمين .

فليس لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ من هذا القرآن الا التــلقى والحفظ « **سنقرئك فلا تنسى** » الاعلى ٦ ، ثم التبليغ والدعوة : « **يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته** » المائدة ٦٧ . ثم التفسـير والبيان : « **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهـــم يتفكرون** » . النحل ٤٤ .

والسنة التى بينت القرآن ، هى نفسها وحى الهى ، ولكنه وحى غير متلو ولا معجز كالقرآن الكريم .

وما جاء فى هذه السنة عن طريق الاجتهاد ، فان الله تعالى لا يقره على الخطأ فيه ، بل ينزل الوحى مصححا ومصوبا .

ميزة الاسلام بين المناهج القائمة فى العالم :

ان الاسلام هو المنهج او المذهب او النظام الوحيد فى العالم ، الــذى مصدره كلمات الله وحدها ، غير محرفة ولا مبدلة ولا مخلوطة بأوهام البشر ، واغلاط البشر ، وانحرافات البشر .

والمناهج او الأنظمة التى نراها فى العالم الى اليوم ثلاثة ، فيما عــدا الاسلام طبعا :

١ ــ منهج أو مذهب أو نظام مدنى بشرى محض ، مصدره التفكير العقلى او الفلسفى لبشر فرد ، أو مجموعة من الافراد كالشيوعية والراسماليـــة والوجودية ، وغيرها .

٢ — منهج أو نظام دينى بشرى كذلك . مثل الديانة البوذية القائمة فى الصين واليابان والهند والتى لا يعرف لها أصل الهى ، أو كتاب سماوى . فمصدرها اذن فكر بشرى .

٣ — منهج أو مذهب دينى محرف ، فهو — وان كان الهيا فى أصله — عملت فيه يد التحريف والتبديل ، فأدخلت فيه ما ليس منه ، وحذفت منه ما هو فيه ، واختلط فيه كلام الله بكلام البشر ، فلم يبق ثمت ثقة بر... مصدره ، وذلك كاليهودية والنصرانية ، بعد ثبوت التحريف فى التوراة والانجيل نفسيهما ، فضلا عما أضيف اليهما من شروح وتأويلات ومعلومات بشرية ، بدلت المراد من كلام الله .

أما الاسلام فهو المنهج الفذ الذى سلم مصدره من تدخل البشر وتحريف البشر ، ذلك ان الله تعالى تولى حفظ كتابه ودستوره الأساسى بنفسه ، وهو القرآن المجيد ، وأعلن ذلك لنبيه ولأمته فقال : ((**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**)) . الحجر ٩

وكان وعد ربى حقا ، فقد صدقت القرون المتوالية — على رغم ما حل بالمسلمين فيها من كوارث مروعة ، ونوازل هائلة — هذه النبوءة القرآنية . وبقى القرآن ، كما انزله الله ، وكما تلاه محمد صلى الله عليه وسلم ، وكما نقله عنه أصحابه ، وتلقاه عنهم من تبعهم باحسان . ولم تزل الأجيال تلــو الأجيال تتوارثه وتتعبد بتلاوته وترتيله وحفظه وكتابته . ولا عجب أن ظل — كما كان — مكتوبا فى المصاحف ، متلوا بالألسنة ، محفوظا فى الصدور ، منقولا الينا نقلا حرفيا ، بنفس طريقة كتابته ، منذ عهد عثمان ، وبطريقــة تلاوته ونطقه منذ العهد النبوى ، حتى أصوات الغنّ والمد والاظهار والادغام ، والاقلاب والاخفاء .

من ثمــرات ربانيــة المصــدر :

واذا كان للربانية بالمعنى الأول — ربانية الغاية — تلك الثمرات والمزايا التى ذكرناها من قبل ، فان للربانية بالمعنى الثانى — ربانية المصدر والمنهج — مزايا وثمرات ، لعلها أعظم خطرا ، وأبعد أثرا .

وكل هذه المزايا والثمرات نتيجة لسبب واحد ، هو كمال الله تعالى ، صاحب هذا المنهاج ، ومصدره ، أما المناهج الأخرى ، فيلازمها نقص البشر وعجز البشر ، وقصور البشر .

١ — العصمة من التناقض والتطرف :

من هذه المزايا او الآثار : العصمة من التناقض والاختلاف الذى تعانيه المناهج والأنظمة البشرية والمحرفة .

فالبشر — بطبيعتهم — يتناقضون ويختلفون من عصر الى عصر ، بل فى العصر الواحد من زمن الى آخر ، ومن قطر الى قطر ، بل فى القطر الواحد من اقليم الى آخر ، وفى الاقليم الواحد من بيئة الى اخرى ، وفى الأمة الواحدة من شعب الى آخر ، وفى الشعب الواحد من فئة الى اخرى ، وفى الفئــة الواحدة من فرد الى آخر ، بل فى الفرد الواحد من حالة الى اخرى ، ومن وقت الى آخر .

فكثيرا ما رأينا تفكير الفرد فى مرحلة الشباب يناقض تفكيره فى مرحلة

الكهولة ، أو الشيخوخة وكثيرا ما وجدنا آراءه ساعة الشدة والفقر ، تخالف آراءه فى ساعة الرخاء والغنى .

فاذا كانت هذه هى طبيعة العقل البشرى ، وضرورة تأثره بالزمان والمكان والأوضاع والأحوال ، فكيف نتصور براءته من التناقض والاختلاف فيما يضعه من مناهج للحياة ، سواء اكانت مناهج للتصور والاعتقاد ، أم للعمل والسلوك؟ ان الاختلاف والتناقض لازمة من لوازمه لا ريب . وصدق الله العظيم اذ يشير الى ذلك فيقول : « **افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** » . النساء ٨٢ .

ومن مظاهر هذا التناقض ما نراه ونلمسه فى كل الأنظمة البشرية والدينية الوضعية والمحرفة، من إفراط أو تفريط ، كما هو واضح من موقفها من الروحية والمادية ، أو من الفردية والجماعية ، أو من الواقعية والمثالية ، أو من العقل والقلب ، أو من الثبات والتطور ، وغيرها من المتقابلات ، التى وقف كل مذهب أو نظام عند طرف منها مغفلا الطرف الآخر ، أو جائرا عليه :

والسر فى هذا — بعد القصور البشرى العام — أن تفكير الانسان فى وضع فلسفة أو منهاج ، أو مذهب ، غالبا ما يكون نتيجة — مباشرة أو غير مباشرة — لرد فعل ، وانعكاسا لأوضاع آنية وأحوال بيئية ، تؤثر فى تصوره للأشياء ، وحكمه على الأمور ، شعر أو لم يشعر ، شاء أم لم يشأ .

ولا يستطيع منصف أن ينزه أكابر الفلاسفة — وان توافر فيهم الاخلاص فى طلب الحقيقة — من التأثر بأزمانهم وبيئاتهم ، فضلا عن التأثر بوراثاتهم وأمزجتهم الشخصية .

٢ — البراءة من التحيز والهوى :

ومن ثمرات هذه الربانية فى الاسلام : اشتماله على العدل المطلق ، وبراءته من التحيز والجور واتباع الهوى . مما لا يسلم منه بشر ، كائنا من كان .

أجل ، لا يخلو بشر غير معصوم — مهما يعل كعبه فى العلم والتقى — من التأثر بالأهواء والميول والنزعات الشخصية والأسرية والاقليمية والحزبية والقومية ، وان كان فى ظاهر أمره يرغب فى الانصاف ، ويحرص على الحياد .

فاذا كان لهذا البشر هوى معين ، أو ميول خاصة ، توجهه وتلون تفكيره وتميل بحكمه الى حيث يهوى ويحب ، فهذه هى الطامة ، فقد اجتمع فيها الهوى المتبع الى القصور البشرى الذاتى ، فزاد الطين بلة ، « **ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله** » . القصص ٥٠ .

وقد قال الله لنبيه داود : « **يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** » سورة ص آية ٢٦ .

وسبيل الله هو سبيل الحق والعدل ، المنزه عن التحيز والجور والانحراف .

ومقتضى ما ذكرناه : انه لا يسلم منهج أو نظام وضعه البشر أو تدخلوا فيه ، من التأثر بالأهواء المضلة عن سبيل الله ، المتحيزة الى جانب دون جانب ،

أو فريق دون فريق .

أما « نظام الله » أو « منهاج الله » فقد وضعه رب الناس للناس . وضعه من لا يتأثر بالزمان والمكان ، لأنه خالق الزمان والمكان ، ومن لا تحكمه الأهواء والنزعات ، لأنه المنزه عن الأهواء والنزعات . ومن لا يتحيز لجنس ولا لون ولا فريق ، لأنه رب الجميع ، وكلهم عباده ، فلا يتصور تحيزه لفئة دون أخرى ، ولا لجيل دون غيره ، ولا لشعب على حساب غيره من الشعوب .

ومن ثم اعتبر القرآن ما عدا شريعة الله وحكمه « أهواء » يجب الحذر منها ومن أصحابها . يقول تعالى لرسوله : « **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون** » الجاثية ١٨ « **وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك .** » المائدة من الآية ٤٩ .

٣ ــ الاحترام وسهولة الانقياد :

ومن ثمرات هذه الربانية كذلك أنها تضفى على النظام أو المنهاج الربانى قدسية واحتراما لا يظفر بهما أى نظام أو منهج من صنع البشر .

ومنشأ هذا الاحترام والتقديس اعتقاد المؤمن بكمال الله تعالى ، وتنزهه عن كل نقص ، فى خلقه وأمره . انه تعالى أحسن كل شىء خلقه ، وأتقن كل شىء صنعه ، كما قال فى كتابه « **صنع الله الذى أتقن كل شىء** » النمل وكذلك أحكم كل شىء شرعه ، وكل كتاب أنزله ، كما قال تعالى عن القــرآن الكريم « **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** » . هود الآية ١ .

فهو الحكيم فيما خلق وقدر ، والحكيم فيما أمر ونهى « **ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت .** » النمل من الآية ٨٨ ، ولا تجد فى شرع الرحمن من تهافت ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وأحكم الحاكمين .

ويتبع هذا الاحترام والتقديس : الرضا بكل تعاليم هذا النظام وأحكامه ، وتقبله بقبــول حسن ، مع انشراح الصدر ، واقتناع العقل ، وطمأنينة القلب ، فهذا من موجبات الايمان بالله ورسوله « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمــوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » . النساء / ٦٥ .

ويلزم من هذا الاحترام والتقديس وحسن القبول : المسارعة الى التنفيذ والسمع والطاعة فى المنشط والمكره ، دون تلكؤ أو تكاسل ، أو تحايــل على الهرب من تكاليف النظام والتزاماته ، والتقيد بأوامره ونواهيه .

ونكتفى هنا بضرب مثلين يبينان مواقف المسلمين والمسلمات فى العهد النبوى ، من شرع الله تعالى وأمره ونهيه :

أولهمــا : ما وقع من المؤمنين بالمدينة عقب تحريم الخمر .

وقد كان للعرب ولع بشربها واقتدائها ومجالسها . وقد عرف الله ذلك منهم فأخذهم بسنة التدرج فى تحريمها ، حتى نزلت الآية الفاصلة تحرمهــا تحريما باتا ، وتعلن أنها « **رجس من عمل الشيطان** » المائدة ٩٠ وبهذا حرم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ شربها ، وبيعها ، واهداءها لغير المسلمين . فما كان من المسلمين حينذاك الا أن جاؤوا بما عندهم من مخزون الخمروأوعيتها فأراقوها فى طرق المدينة اعلانا عن براءتهم منها .

ومن عجيب أمر الانقياد لشرع الله أن فريقا منهم حين بلغته هذه الآية كان منهم من فى يده الكأس ، قد شرب بعضها وبقى بعضها فى يده ، فرمى بها من فيه ، وقال — أجابة لقول الله (**فهل أنتم منتهون**) المائدة من الآية / ٩ قد انتهينا يا رب !

ولو وازنا هذا النصر المبين فى محاربة الخمر والقضاء عليها فى البيئة الاسلامية ، بالاخفاق الذريع الذى منيت به الولايات المتحدة الأمريكية ، حين أرادت يوما أن تحارب الخمر بالقوانين والأساطيل — لعرفنا أن البشر لا يصلحهم الا تشريع السماء ، الذى يعتمد على الضمير والايمان قبل الاعتماد على القوة والسلطان .

وثانيهما : موقف النساء المسلمات الأول مما حرم الله عليهن من تبرج الجاهلية ، وما أوجب عليهن من الاحتشام والتستر ، فقد كانت المرأة فى الجاهلية تمر كاشفة صدرها ، لا يواريه شىء ، وكثيرا ما أظهرت عنقها وذوائب شعرها ، وأقراط آذانها فحرم الله على المؤمنات تبرج الجاهلية الأولى ، وأمرهن أن يتميزن عن نساء الجاهلية ويخالفن شعارهن ويلزمن الستر والأدب فى هيئاتهن وأحوالهن ، بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن ، أى يشددن أغطية رؤوسهن بحيث تغطى فتحة الثوب من الصدر ، فتوارى النحر والعنق والأذن .

وهنا تروى لنا السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها كيف استقبل نساء المهاجرين والأنصار فى المجتمع الاسلامى الأول ، هذا التشريع الالهى ، الذى يتعلق بتغيير شىء هام فى حياة النساء ، وهو الهيئة والزينة والثياب .

قالت عائشة : يرحم الله نساء المهاجرين الأول .. لما انزل الله « **وليضربن بخمرهن على جيوبهن ..** » شققن مروطهن — اكسية من صوف أو خز — فاختمرن بها ... رواه البخارى .

وجلس اليها بعض النساء يوما ، فذكرن نساء قريش وفضلهن ، فقالت :

« ان لنساء قريش لفضلا ، وانى والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ، ولا أشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل . لقد انزلت سورة النور : (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) فانقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما انزل الله فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذى قرابته ، فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها المرحل — المزخرف الذى فيه تصاوير — فاعتجرت به — شدته على رأسها — تصديقا وايمانا بما انزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان » رواه ابن أبى حاتم .

هذا هو موقف النساء المؤمنات مما شرع الله لهن ، موقف المسارعة الى تنفيذ ما أمر ، واجتناب ما نهى ، بلا تردد ، ولا توقف ولا انتظار ، أجل لم ينتظرن يوما أو يومين أو أكثر حتى يشترين أو يخطن اكسية جديدة تلائم غطاء الرؤوس وتتسع لتضرب على الجيوب ، بل أى كساء وجد ، وأى لون تيسر ، فهو الملائم والموافق ، فان لم يوجد شققن من ثيابهن ومروطهن ، وشددنها على رؤوسهن ، غير مباليات بمظهرهن الذى يبدون به كأن على رؤوسهن الغربان ، كما وصفت ام المؤمنين .

٣ ـ الدور الثالث ـ عصر الخلافة الأموية :

يبتدىء هذا الدور بتنصيب معاوية ابن أبي سفيان خليفة على الدولة الاسلامية جميعها بعد وفاة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عام ٤٠ هـ ، وينتهي بسقوط حكم بني أمية واستيلاء العباسيين على الخلافة عام ١٣٢ هـ .

ويتميز هذا الدور باتساع رقعة البلاد الاسلامية ووصولها الى الصين شرقا وفرنسا غربا ، اتساعا سهل لكثير من الشعوب غير العربية مثل الفرس والروم وغيرهم الدخول في الاسلام . وبذلك دخل في جسم الدولة الاسلامية دماء متعددة جديدة الى جانب الدماء العربية ، ترفدها وتعضدها وتشد من أزرها .

وقد أمن هذا الاتساع للدولة الإسلامية مزيدا من الخبرات والمعارف والثقافة ادخلتها وحملتها معها الشعوب الاعجمية التي دخلت في الاسلام . وفي هذه الخبرات والمعارف صناعات وعلوم متنوعة متعددة ، امتد أفقها الى الطب والهندسة ، والفلك وغيرها من العلوم الطبيعية والفلسفية ، كما رافق ذلك نهضة كبرى في كثير من العلوم الدينية والعربية كالتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والنحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة وغيرها مما دعت اليه الحاجة .

فلقد كثرت مسائل الناس ومشاكلهم في هذا العصر وتعقدت علاقاتهم التجارية والصناعية .. ودخل المجتمع المسلم عادات وأعرافا وأنكحة لم يكن له بها عهد ، ولا بد من عرض كل ذلك على مصادر الاسلام



واستفتائها فيه ليتبين صحيح ذلك من زيفه . فان المسلمين لا يتقبلون جديدا الا اذا كان متمشيا مع دينهم وثقافتهم وتراثهم ، اما ما كان منه مخالفا لما عندهم ومعارضا له فانهم يرفضونه ولا يلتفتون اليه مهما كان مصدره ، ورحم الله القائل : « وزن بوزن الشرع كل خاطر » .

كل ذلك كان يلح على علماء المسلمين بالتفرغ لهذه المشاكل وهذه المسائل ودراستها وبيان حكم الاسلام فيها على ضوء نصوص القرآن والسنة وما اجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم . ذلك بعد ان كان العلماء يمارسون الوظائف السياسية والقيادية ، والمهن الحرة ، الى جانب اشتراكهم فى الفتوحات الإسلامية مع الجند جنبا الى جنب .

وتحت هذه المطالبة الملحة بالتفرغ للفكر والفتوى والقضاء والاجتهاد تفرغ بعض العلماء لذلك فى هذا العصر الأموى ، وبداوا يتصدون للتدريس فى المساجد والجوامع والمدارس ويبذلون الجهد بما آتاهم من علم وذكاء وتقوى لاستنباط الاحكام من القرآن والسنة واجماع الصحابة — رضى الله تعالى عنهم — على ضوء اللغة العربية واساليبها المتعددة تلك اللغة التى جاء بها القرآن والسنة .

وقد كثر هؤلاء العلماء يوما بعد يوم حتى غصت جوامع المسلمين بهم فى كل الحواضر الاسلامية ، بمكة والمدينة ، والبصرة ، والكوفة ، ومصر ، وغيرها .

كما تعددت مذاهب هؤلاء العلماء وطرقهم فى فهم نصوص القرآن والسنة منبع الثقافة الاصيل لديهم تعدد أساليب اللغة العربية وطرق دلالة الفاظها على المعنى ، حيث فيها العام والخاص ، والمجمل والمفصل ، والمطلق والمقيد ، والمشكل والمتشابه والمشترك وغير ذلك .

ومع أواخر المئة الاولى من الهجرة بدأت هذه المذاهب تأخذ أبعادها وتتضح معالمها وتستبين مناهجها وتخصصاتها .

ولقد استمرت هذه الحركة العلمية فى مسيرتها طوال القرن الثانى والقرون التى بعده حيث تعددت المذاهب وانتشرت فى الافاق وكثر أتباعها ومعتنقوها المدافعون عنها ، ثم بدأت تعقد المناقشات والمساجلات العلمية فى مختلف مجالات العلوم ، وكان يحضر هذه المناقشات كبار العلماء المتخصصين الى جانب جموع غفيرة من الطلاب ، وكثيرا ما كانت هذه المناقشات تعقد فى دار الخلافة فى الشام ثم بغداد بعدها تحت اشراف الخلفاء ، أو فى دور الامراء فى الأمصار الإسلامية . وكان لهذه المناقشات صداها وابعادها العلمية ، فقد كانت الطريقة المثلى لفحص الافكار والقاء الاضواء عليها، ومن ثم نشرها فى انحاء البلاد على السنة العلماء والطلاب فى زمن لم تكن الطباعة ووسائل النشر الحديثة معروفة فيه .

وسوف نحاول فيما يلى القاء الضوء بإجمال على هذه العلوم التى نشأت فى هذا العصر ، والابعاد التى وصلت اليها ، ولكن لما كانت هذه العلوم كثيرة ومتشعبة والإلمام بها كلها يحتاج الى توسع وتفصيل ليس هذا محله ، فاننا سوف نقصر

الكلام على علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، وأصول الفقه ، وقواعد اللغة العربية تلك التى تعتبر اهم هذه العلوم وابرزها فى تكوين الصرح العلمى والثقافى الاسلامى فى هذا العصر .

١ ــ علم التفسير فىالعصر الأموى :

نقصد بالتفسير هنا تلك الدراسات والشروح التى دارت حول بيان المعنى المراد من الفاظ القرآن الكريم ، وقد بزغ نجم هذا العلم فى زمن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث كان يسأل عن معنى الآيات الكريمة التى غمض فهمها على بعض الصحابة فيجيب عن ذلك بما يوضح معنى الآية وأهدافها وابعادها . وبعد وفاة النبى الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ تولى علماء الصحابة هذه المهمة ، فكانوا اذا عرضت لهم آية غمض عليهم معناها تتبعوا سنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ علهم يجدون فيها التفسير الشافى فإذا عجزوا بذلوا جهدهم فى فهمها بحسب قواعد اللغة العربية التى انزل القرآن بها . وكان أشهر مفسرى الصحابة عبد الله بن عباس الذى سماه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ترجمان القرآن . وهكذا كلما تقدمت الايام وبعد الزمن عن عصر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اشتدت الحاجة الى التفسير ، وكثر العلماء المتصدون لهذه المهمة . حتى اذا ما جاء العصر الاموى ، وترامت أطراف الدولة ، دخل عدد كبير من الاعاجم فى الاسلام ، واشتدت الحاجة الى تفسير القرآن وايضاح معانيه ، تفرغ عدد من العلماء لتفسير القرآن ونذروا أنفسهم له ، حتى اضاء نجمهم فيه . وتصدوا للافادة فى مختلف مساجد الدولة الاسلامية الكبيرة .

وممن بزغ نجمه فى هذا العلم من التابعين ، أصحاب عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنهم ــ كمجاهد المتوفى سنة ١٠٣ هـ ، وعطاء بن أبى رياح المتوفى سنة ١١٤ هـ ، وعكرمة المتوفى سنة ١٠٥ هـ ، وطاووس المتوفى سنة ١٠٦ هـ . وسعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٤ هـ . وغيرهم . أما أتباع التابعين من المفسرين فهم كثيرون جدا نذكر منهم : سفيان بن عيينه ، ووكيع بن الجراح ، وشعبة بن الحجاج ، ويزيد بن هارون ، واسحق ابن راهويه ، وغيرهم .

الا أن جل التفسيرات التى صدرت عن علماء التابعين والصحابة قبلهم والتفسيرات التى صدرت عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم تدون ولم تقعد فى مصنفات خاصة بها على النمط الذى نرى التفسير عليه اليوم ، ولكن جلها كان يتناقل مشافهة على السنة العلماء والطلاب فى دروسهم ومناقشاتهم ومساجلاتهم ، وقد استمر الامر على ذلك الى أول العصر العباسى حيث صنفت الكتب فى التفسير وظهرت المذاهب فيه جلية واضحة . ومما يلاحظ أن جل هذه التفسيرات التى كانت تأتى على لسان التابعين كانت تقف عند حد المنقول عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه دون الزيادة عليه الا ما كان من ذلك نذرا يسيرا ، اى انها

كانت تقف عند حد التفسير بالمأثور . كما كانت هذه التفسيرات تنقل عن النبى — صلى الله عليه وسلم — واصحابه بالسند المتصل ، شأنها فى ذلك شأن السنة تماما ، ولذلك فانه كان من السهل تفحصها وتبين الصحيح منها من الضعيف ، الا أن هذه الطريقة لم تستمر طويلا ، فقد تغيرت فى العصر العباسى لعدم كفايتها كما سوف نرى :

٢ — علم الحديث الشريف فى العصر الأموى :

الحديث هو ما نقل عن النبى — صلى الله عليه وسلم — من قول أو فعل او تقرير .

وقد كان الحديث فى زمن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ينقل عنه مشافهة ويتداوله الصحابة كذلك ، ولما اراد بعض الصحابة كتابة الحديث نهاهم النبى — صلى الله عليه وسلم — عن ذلك وقال : « من كتب عنى غير القرآن فليمحه » رواه مسلم . وذلك خشية اختلاطه بالقرآن . الا أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يسمح لبعض الصحابة بشكل افرادى بكتابة حديثه عندما يأمن عليهم اللبس مثل عبد الله ابن عمرو بن العاص ، فقد روى عنه أنه قال : قلت لرسول الله — صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك ؟ قال : نعم . قلت : فى الرضى والغضب ؟ قال : نعم ، فانى لا أقول فى ذلك كله الا حقا » . وبقيت السنة على ذلك تتداول مشافهة الا نذرا منها يكتبه بعض العلماء لانفسهم الى عهد عمر ابن عبدالعزيز الخليفة الأموى المتوفى فى آخر المئة الاولى للهجره ، حيث اشتد الخوف على ضياع السنة فى ثنايا الاخبار الكثيرة التى بدات تختلق على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقد أمر عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه — العلماء بكتابة السنة وجمعها من صدور الرجال . وقد وردت أخبار كثيرة عن تكليف هذا الخليفة العادل عددا من العلماء الثقات بكتابتها ، منهم أبو بكر ابن حزم المتوفى سنة ١٢٠ هـ . ومحمد بن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ . وغيرهما .

ومنذ ذلك العهد تتابع العلماء على كتابة السنة والتصنيف فيها ، وتفننوا فى طريقة تدوينها وبيان صحيحها من ضعيفها ، وقعدوا لذلك القواعد واقاموا علما خاصا سموه (علم مصطلح الحديث) . الا أن العصر الاموى هذا لم يشهد للسنة مدونات كبرى تجمعه جمعا مدرسيا مرتبا كما هو الحال فى كتب الحديث التى بين أيدينا ، بل تأخر ذلك الى العهد العباسى حيث ظهرت المدونات الكبرى فى الحديث كما سوف نرى .

٣ — علم الفقه فى العصر الأموى :

الفقه كما عرفه الامام ابو حنيفة (معرفة النفس ما لها وما عليها) . أى معرفة ما لها من الحقوق ، وما عليها من الواجبات ؟ نحو نفسها ، ونحو ربها ، ونحو أسرتها ومجتمعها وغير ذلك ، لأنه به يتميز الحلال من الحرام ، ويستطيع الانسان أن يتبين معالم الطريق الى الله تعالى .

وقد بزغ فجر هذا العلم ببزوغ فجر الرسالة ، حيث كان النبى — صلى الله عليه وسلم — الفقيه الاول الذى يرجع اليـه فى كل الامور والمسائل ليبين فيها وجه الصحة من الفساد وفقا لتعاليم القرآن الـكريم ونصوصه وروحه وأهدافـه . وقد كانت مسائل الناس ومشـاكلهم محدودة فى عصره بالنظر لضـيق المجتمع وصغر حجم الدولة اذ ذاك .

وعندما انتقل النبى — صلى الله عليه وسلم — الى الرفيق الاعلى واتسع نطاق الدولة بعـض الشىء فى زمن الراشدين وكثرت المسائل والمشاكل المعروضة على القضاء ، ولم تعـد نصوص القرآن والسـنة بمفهومها الظاهر كافية للاجابة عن هـذه المسائل ، عمد علماء الصحابة كمـا تقدم الى الاجتهاد فى هذه النصوص وحل المسائل الجديدة وفق روح هذه النصوص وعلى نسـقها ، وذلك بالاضافة الى المهام الاخرى الكثـيرة التى كانوا يشتغلون بها من تسيير أمور الدولة والمشاركة فى الفتوحات الاسلامية وغيرها . وهكذا اسـتمر الامر الى عهد الامويين حيث أصبحت المشـاكل الفقهية تجل عن الحصر وتلح على الفقهاء بالتفرغ لهـا ودراستها واقتراح الحلول لهـا وفقا لنصوص القرآن والسنة .

عند ذلك بدأ العلماء بالتفرغ للفقه والتخصـص فيه فظهرت المدارس الفقهيـة المتعددة فى الامصـار الاسلامية ، كمكة والمدينة والبصرة والكوفة ومصر وغيرها . وقد كثرت هذه المدارس وانتهج كل من العلماء المتخصصين فى الفقه منهجا خاصـا قد يخالف المناهج الاخرى فى بعض جزئياته ، وذلك أمر طبيعى لا بد منه، تقتضيه طبيعة الاجتهاد ، وتفاوت الأفكار .

هذا ومن اشهر العلماء الذين لمعوا وعرفوا بالفقه والاجتهـاد فى هذا الدور ابراهيم النخعى ، والحسـن البصرى ، وان كان لم يصـل الينا شىء من مؤلفاتهما ، الا أن آراءهم وفقهم وصـل إلينا اكثره على السنة تلامذتهم الذين حفظت لنا مذاهبهـم ومدارسهم الفقهية كما سـوف يأتى معنا فى العصر العباسى .

٤ — علم أصول الفقه فى العـصر الأموى :

لم يكن علم اصول الفقه قد بزغ نجمه بعد فى هذا الـدور بالمعنى الكامل لكلمة علم ، ولكنه وجد على صورة قواعد متناثرة ، وضـوابط مبعثرة تأتى على السنة الفقهاء فى أبحاثهم ودروسهم دون أن يفردوها بالتصنيف والتقعيد ، وقد اسـتمر الامر على ذلك الى العصر العباسى حيثبدأ الحنفية والشافعية بالتصنيف فى علم أصول الفقه كما سوف يأتى :

٥ — علم اللغة العربية فى العـصر الأموى :

اللغة العربية هى اللغة الوحيـدة التى كان العرب فى الجـاهلية يستخدمونها للتخاطب فيما بينهم ، وقد كانوا شديدى الحرص عليهـا نقية صافية من اى دخيل ، وكانـوا

يعتزون ويفاخرون بها ولا يرضون لاحد منهم أن يتحدث بغيرها ، أو يدخل العجمة فيها ، وعندما جاء القرآن بها ازدادت شرفا ومكانة وازداد تمسك العرب المسلمين بها اكثر فأكثر . وقد كان العرب يحفظون ويتداولون هذه اللغة مشافهة أبا عن جد دون أن يحتاجوا الى تسجيلها فى معاجم ، أو ضبطها بقواعد، فأذن العربى حساسة جدا تكتشف الدخيل على هذه اللغة بسرعة فائقة.وترده، ولكن اتساع رقعة بلاد الاسلام بعد الفتوحات فى العهد الأموى ودخول كثير من الاعاجم فى الاسلام واختلاطهم بالعرب المسلمين وبأولادهم مهد السبيل لادخال العجمة فى لغة هؤلاء الاولاد والاحفاد ، وهو الخطر الكبير الذى كان يخشاه العربى محافظة منه على نقاء لغته لغة القرآن والحديث الشريف . وقد سمع بعض العلماء أحد الاعراب يلحن فى لغته فأثار ذلك غضبه وشكوكه ، ونبهه الى موطن الخطر وشدة الحاجة الى تقعيد هذه اللغة بعد جمعها وحفظها .

ومن هنا بدأ العلماء تترى يجمعون مفردات هذه اللغة من فم العرب الاقحاح، ثم ينظرون فيها ويستخرجون منها القواعد والضوابط التى تحفظ نقاءها وأصالتها وتبعد اللحن عنها .

ويروى أن أول من تنبه الى هذا الخطر سيدنا على بن أبى طالب حيث سمع اعرابيا فى العراق يلحن فى كلامه فعمد الى رقعة وكتب فيها : (الكلام اسم وفعل وحرف) فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل) . .

ثم دفع هذه الرقعة الى أبى الاسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٧ هـ وقال له (انح هذا المنحى) فأخذها أبو الاسود وبنى عليها . وقيل أن أول من تكلم فى النحو نصر بن عاصم المتوفى سنة ٨٩ هـ ، وقيل غير ذلك . ثم تابع العلماء بعد ذلك السير فى هذه الطريق يستنتجون القواعد من اللغة العربية التى يجمعونها من فم العرب الخلص طيلة العصر الاموى الى أن جاء العصر العباسى الذى أصبحت فيه هذه الدراسات اللغوية تشكل صرحا لعلم عظيم هو علم اللغة العربية . عندها قام أفذاذ من العلماء مثل سيبويه والخليل بن احمد والكسائى وغيرهم بجمع كل هذه الدراسات الماضية ، وتنسيقها والزيادة عليها والخروج منها بعلم عالى البنيان ثابت الاركان ، حفظ لهذه اللغة نقاءها وصفاءها . وهو ما سوف نشير اليه فى العصر العباسى .

وبذلك نستطيع أن نقول ان العصر الأموى كان بحق عصر البدء بتكوين المذاهب فى العلوم الاسلامية والعربية ، حيث إن هذه العلوم زرعت بذرتها فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — والراشدين بعده ، ثم أصبحت هذه البذرة نبتة صغيرة فى هذا العصر ثم اكتمل نموها فى العصر العباسى الذى رعاها بالماء والغذاء اللازم لها حتى أصبحت شجرة كبيرة وارفة الظلال تؤتى اكلها على أتم وجه وأكمله .



للدكتور نور الدين عتر

في مساء يوم الجمعة الخامس عشر من ذى القعدة لعام ١٣٩٤ شاهد الناس القمر وهو فى اكتماله البدرى قد حجب قسم كبير منه عن الاضاءة واصبح قاتم اللون حائلا بدلا من أن يكون بهيا مضيئا ، كما تعودوا منه ، فعلموا ان القمر قد خسف ، وأخذت منهم هذه الظاهرة غير المعتادة مأخذا أطلق الأفكار لدى بعض الناس نحو موروثات عامية وتقولات بعيدة عن المنطق ، ومثل ذلك يحدث لو كسفت الشمس بل يحدث ما هو اكثر واقوى منه ، فما هو حادث الكسوف والخسوف ، وما هى صلتهما الحقيقية بالتأثير فى حوادث الكون ، وفى مستقبل الانسان ؟؟ .

وما هى حقيقة الشمس والقمر فى وظيفتهما فى هذا الكون ؟

هذا سؤال خطير تاهت الانسانية فى تفسيره عصورا طويلة بسبب البعد عن الهداية والعلم ، وأدى ذلك التيه الى ضلال فى العقائد وفى السلوك ، جر على الانسانية خطوبا واخطارا كبيرة .. !!!

فى الاحقاب السحيقة من التاريخ كانت وسـ ـل البحث بدائية وكان العلم بدائيا ونادرا جدا فخضع الناس لما وقع فى أوهامهم من التصورات الخيالية بشأن هذه الكواكب التى تبدو فى ظلمة الفضاء الفسيح نقطا مضيئة عجيبة الشأن ، تحلق على ابعاد عظيمة شاسعة . ومع فقدان التصور العلمى للمجموعة الكونية أورث هذا الغموض عند الناس اعتقادا غريبا فى الكواكب انها بشكل عام مكونات تستعصى على أحكام الطبيعة التى نعرفها ، مثل قول الفلاسفة الاقدمين أنهـا غير قابلة للخرق والالتئام وليست صالحة للانقسام ، ومثل ما كان يتوهمه الناس من أن للكواكب تأثيرا فى أمور الانسان وان لكل انسان نجم يرتبط به ويتأثر ، وقرر فلاسفة اليونان أن هناك عقولا عشرة حلت فى عشرة كواكب تدبر امر العالم



وهكذا وجدت عبادة الكواكب وخاصة الشمس والقمر وهما أقرب واظهر لعيان أهل الأرض ، فعبدهما وعبد نجوما أخرى طوائف من الناس منهم طائفة «الصابئة» وانتشر تعظيم الكواكب واعتقد الناس بتأثيرها فيهم ، حتى صار البحث فيها من مهمات العلوم السحرية ، وصارت كلمة المنجم عنوانا يدل على العراف الذى يتخرص على الغيب بواسطة النجوم ، بدلا من أن تكون تسمية لصاحب اختصاص علمى شأن نظائرها كالطبيب عالم الطب ، والمهندس عالم الهندسة ، حتى سرت هذه الخرافات بين أهل الاديان السماوية السابقة التى يجب أن تكون لهم حصانة من الانزلاق وراء افكار لا علم لهم بها سوى الوهم الفاسد الخيالى ؟ فما بالك بالعرب الاميين الذين لم يتعلموا ولم يجاوزوا حدود البدائية البسيطة فى العيش والمعرفة حتى اشركوا بالله وعبدوا أصناما من الحجارة ؟ !

وهكذا انتشرت الخرافات حول كسوف الشمس وخسوف القمر ، فمن قائل ان ذلك يحدث بسبب أمر خطير سيحدث فى العالم مثل الحروب والخراب أو الاوبئة الفتاكة أو غير ذلك ، ومن قائل ان ذلك بسبب ولادة رجل عظيم أو وفاته . وربما كان السبب فى ظهور مثل هذه الافكار يرجع الى مصادفة اقتران الكسوف أو الخسوف بشىء من تلك الامور التى ذكرناها الامر الذى أورث ذلك التوهم عند الناس .

ومن اعجب الخرافات التى نشت بين بعض العوام الجاهلين ان القمر ينكسف بسبب ابتلاع الحوت اياه ، وانه ينبغى ازعاج هذا الحوت حتى يفلت القمر منه ، فيضربون على الاوانى الضخمة ويحدثون ضجة يخيفون بها الحوت الموهوم بزعمهم لكى يترك القمر ولا يبتلعه !! .

خطـــورة الامية الدينية : ـــ

ونسجل هنا اثر الأمية الدينية فى سريان هذه الخرافة لدى هذه الفئة من الناس ، ذلك ان قصة الحوت المزعوم تسربت من الثقافة الاسرائيلية وانتشرت بين الامم بواسطة هذه الثقافة ، وتزعم الاسرائيليات أن هذا الحوت اسمه بهموت ، وانه ضخم كبير جدا ، يحمل الارضين السبع على ظهره . . !!

وقد نبه علماء الاسلام على وجوب التحرز من الثقافة الاسرائيلية لما حـــوت من الخرافات ، ونبهوا أيضا على بطلان هذه الفكرة الباردة وحذروا منها ومن أمثالها من الاسرائيليات فى مؤلفات كثيرة عديدة ، لا سيما المؤلفات فى علوم القرآن وفى قواعد التفسير ، لكن التخلف العلمى فى فهم الاسلام وفهم مصدريه الاساسيين القرآن والسنة ، هذا التخلف جعل بعض العامة الاميين فى معرفة دينهم يرددون مثل هذه الخرافات الاسرائيلية ولا ينكرونها .

عقيدة القـــرآن فى الكـــون :

والواقع أن العقيدة القرآنية فى الكون هي يدة منطقية سليمة جاء بها القرآن على مذهب مستقل عن اى نظرية أو فكرة فى الدنيا يوم نزول القرآن تشهد باعجازه حيث جاءت تتجاوب مع العقل المجرد وتدعم تقدم العلم وتؤاخيه الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، ويتأكد هذا الاعجاز باعجاز آخر هو ظهور هذه العقيدة على لسان النبى العربى فى امة امية لا تكتب ولا تحسب ، مما يقطع صلة هذه العقيدة بأى سبب من أسباب الأرض ، ويشهد شهادة أخرى قاطعة أنها عقيدة من السماء انزلها الله رحمة لاهل الارض .

ومن أهم الاسس لهذه العقيدة :

١ ـــ ان الكون كله مخلوق لله تعالى وحده خلقه الله وابتدأ وجوده فى كل ذرة من ذراته وأفلاكه وأراضيه وسماواته ومجراته ، تجد ذلك مقررا فى آيات كثيرة جدا ، كقوله تعالى : « **الله خالق كل شىء** » الزمر / ٦٢ « **الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش** » . السجدة / ٤ وغير ذلك من آيات القرآن الكريم .

٢ ـــ أن الكون مفتقر الى الله فى استمداد البقاء والاستمرار ، فالله عز وجل يمد هذا الكون بالوجود والبقاء فى كل لحظة من اللحظات ، ويتعهده وينميه ولهذا كان من جملة صفاته عز وجل اسم « الرب » وهو اسم جليل يتضمن صفات كثيرة مثل العلم والارادة والقدرة والحكمة والرحمة وغيرها حتى قال بعض المحققين إن اسم « الرب » هو اسم الله الاعظم . وحسبنا لفهم هذا الافتـــقار الدائم الى الله هذه الجملة من سورة الفاتحة « **رب العالمين** » التى يقرؤها المسلم فى صلاته مرات ومرات كل يوم ، فان التحقيق فى اسم الرب انه من التربية مأخوذ .

قال الامام البيضاوى . فى تفسيره ج ١ ص ٢٧ « وفيه دليل علـــى أن الممكنات ــ يعنى المخلوقات ــ كما هى مفتقرة الى المحدث ــ اى الخالق ــ حال حدوثها فهى مفتقرة الى المبقى حال بقائها » .

وقال الامام الآلوسى فى تفسيره جزء ١ ص ٦٨ . « وما من ذرة من ذرات العوالم الا وهى فى حيطة تربيته ــ سبحانه ، بل ما من شىء مما أحاط به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيـــات والجسمانيات الا وهو فى حد ذاته بحيث لو فـــرض انقطـــاع آثار التربيـــة منه آنا واحدا لما اســـتقر له القـــرار ، ولا أطمأنت به الـــدار الا فى مطمـــــورة العـــدم ووادى البـــوار ، لـــكن يفيض عليـــه من الجنـــاب الاقدس تعـــالى شأنه وتقـــدس فى كل زمـــان يمضى وكـــل آن يمـــر وينقضى من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته مالا يحيط بذلك فلك التعبير ولا يعلمه الا اللطيف الخبير .. »

« وبالجملة آثار تربيته تعالى واضحة المنار ساطعة الانوار ، فسبحانه من رب لا يضاهى ومنان لا يحصى كرمه ولا يتناهى ، ونحن فى تيار بحر جـــوده سابحون وعن اقامة مراسم شكره قاصرون ، وما أحسن قول بعض العارفين : « أنه تعالى يملك عبادا غيرك وانت ليس لك رب سواه ، ثم انت تتساهل فى خدمته والقيام بوظائف طاعته .. وهو سبحانه يعتنى بتربيتك حتى كأنه لا عبد له سواك .. ؟ ! » .

٣ ــ إن هذه الافلاك والكواكب كلها مسيرة بقدرة الله تعالى مسخرة مقهورة لامره ولجبروته سبحانه **« والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره »** الاعراف / ٥٤ ، وهى بالتالى لا تستحق شيئا من العبادة أو التعظيم : **« لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون »** فصلت / ٣٧ . وقد أعلن القرآن الكريم ذلك على العالم بقوة وتأكيد فى عصر انتشر فيه تعظيم الكواكب حتى أصبح الناس فى عصر نزول القرآن فريقين : فريق عبد الكواكب واتخذهـــا آلهة تعبد من دون الله تعالى ، وفريق يعتقد أن لها تأثيرا فى الكون وفى حياة الانسان ، فهو يستنيرها أو يراجعها فى أموره ليتعرف مصلحته أو مستقبلـــــه بزعمه .. !

٤ ــ قرر القرآن الكريم أن الكون خادم للانسان مسخر له ، وهو تقرير عظيم الخطورة فى وقعه التاريخى ونتائجه العلمية والحضارية الضخمة ، لما علمنا من انتشار تعظيم الكواكب فى ذلك العصر ، واذا بالقرآن يعكس القضية ويبين تكريم الله للانسان وانه سخر الكون له . يخدمه مجانا ويحقق مصلحة حياته .

وهذا منطلق كبير فى تقدم العلم ورقى الحضارة ، وكان الناس يتوهمون انهم خلقوا فى جو معادلهم حتى كثرت فى الآداب غير الاسلامية عبارات الصراع والحرب ضد الطبيعة والنصر عليها .. حتى اثبتت الابحاث العلمية العميقة أن

هذا الكون خادم للانسان وان مجال انتفاع الانسان منه لا يمكن أن يحيط به الحصر والعد بل يخضع لمدى قدرة الانسان على الانتفاع منه ، وذلك ما اشار اليه القرآن وسبق الى تقريره فى مواطن كثيرة من آياته وسوره .

مثل قوله تعالى : « **هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا** » البقرة / ٢٩ ومثل قوله : « **وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر** » الانعام / ٩٧ فقد اشار بقوله « **جعل لكم** » فى صدر الآية الى انها خلقت لمصلحتنا ومنفعتنا ، ولم يقل يهديكم بالنجوم فاشارت العبارة القرآنية الى ان النجوم مخلوقة لمنافعكم ايها الناس ، ومن جملة المنافع الاهتداء فى البر والبحر ، فقدمت الآية ذكر المنافع عامة ، ثم ذكرت بعضا منها وهو الاهتداء على سبيل المثال .

وقال عز وجل : « **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليـــل والنهار . وآتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار** » . سورة ابراهيم : ٣٣ ، ٣٤ .

وقال عز وجل : « **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » الجاثية / ١٣ فقد صرحت هذه الآية بتسخير كـــل ما فى السموات وكل ما فى الارض لهذا الانسان ، وكان ذلك امرا عاما لا يفهمـــه الناس الفهم المفصل ، حتى جاء تقدم العلم ليعطينا فكرة مبدئية عن هـــذا السر الكونى العظيم ، الذى بدا للعلم بوضوح فى شروط الحياة على الارض تلـــك الشروط التى تمتد اتصالاتها الى اجواز السماء ومواقـــع النجوم وغير ذلك ..

ولا نشك فى أن تقدم العلم سيعطينا مزيدا من أوجه الانتفاع التى سخرت لهذا الانسان كما سبق أن قررنا من قبل .

وقد عبر القرآن الكريم تعبيرا دقيقا عن هذه العلاقة بين الانسان والكون فى كلمة « **سخر** » بما فيها من معانى الخدمة المجانية واستمرار هذه الخدمة .

٥ ــ ان هذه المكونات كلها دليل على قدرة الله تعالى وعظمته وكمالات صفاته العليا ، لما حوته من بديع الصنع واحكام الوضع ودقة النظام ، ولنأخذ من ذلك ظاهرة أدهشت العلماء وهى تناسق أجزاء الكون مع بعضها البعض فكل نجم وكل كوكب يسير فى مدار معين لا يفارقه ، وتتحدد مواقع النجوم كل نجم وكوكب فى مجموعته بما يناسب سائر المجموعة ، وكل مجموعة تتناسق مع المجموعات الاخرى وهكذا ، حتى صار الكون كالعقد المنضد اذا سقطت منه حبة تداعى من ورائها الباقى ، وهكذا تنطق الافلاك بالتسبيح لله تعالى صاحب تلـــك القدرة .

وقد سجل القرآن هذه الظاهرة التى اخذ العلم يزيدها ترسيخا وتأكيدا ، انظر قوله تعالى : « **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عـــاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار**

وكل فى فلك يسبحون » . سورة يس : ٣٧ ـــ ٤٠ وقال تعالى : « **فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم** » سورة الانعام : ٩٦ .

فهذه الشمس والقمر وكذلك الكواكب الاخرى تسير (**حسبانا**) بحساب دقيق جدا ، ولا شك أن ضبط هذه الاجرام الضخمة أمر عظيم يدل على قدرة الخالق العظيم القدرة التى لا تغلب (**العزيز**) التى سيرتها وقهرتها ذلك القهر الذى الزمها مداراتها وانها قدرة تستخدم العلم الدقيق الواسع جدا فى تنظيم ذلك كله وفى حساب النسب والسرعات وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى ، لذلك سجلت الآية فى خاتمتها هاتين الصفتين « **ذلك تقدير العزيز العليم** » .

أثر القرآن فى تربية العقل الصحيح :

هذه الاصول القرآنية تزيح عن أحداث الكون واحداث الفلك دخان الاوهام وغياية الخرافات ، وتعلم المؤمن ان احداث الخسوف والكسوف وغيرها تجرى بتدبير إلهى حكيم ، لادخل لموت احد ولا لحياة فيه ، ولا تأثير لها فى شىء من شئون الامم فى حرب ولا سلم ، انما هى جزء من دلائل هذا الكون على عظمة خالقه ومكونه ، توقظ من غفل وتذكر من نسى .

موقف النبى صلى الله عليه وسلم من الخسوف :

وقد أعلن النبى صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة على الملأ عندما خسفت الشمس فى عصره ، فصلى بالناس ركعتين سنة الخسوف حتى انجلت الشمس فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال كما فى الصحيحين وغيرهما :
« أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله **لا ينخسفان لموت احد ولا لحياته** ، فاذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا » .
ثم قال :

« يا أمة محمد ، والله ما من أحد اغير من الله ان يزنى عبده أو تزنى أمته ، يا أمة محمد ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » .
وثبت فى روايات أخرى صحيحة أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده ، وانهما لا ينكسفان لموت أحد .. الى آخرها . رواه مسلم .

فأبطل هذا الاعلان النبوى خرافات الجاهلية ، وربط القضية بتصرف التدبير الالهى الذى خلق السموات والارض واحكم نظام العالم ، ونبه على الحكمة العظمى التى يجب أن لا يغفل عنها الناس فى هذه المناسبة الا وهى تذكر عظمة الله تعالى وجبروته والخوف من عقابه .

اشكال وجوابه :

لكن بعض المثقفين السطحيين فى العلم الكونى استشكل هذا الحديث بان علم الفلك قرر للكسوف والخسوف اسبابا معلومة ، فالكسوف يحدث لتوسط القمر بين الارض والشمس ، فيحجب ضوء الشمس عن الارض ، والخسوف يحدث بسبب توسط الارض بين الشمس والقمر فيحجب ضوء الشمس عن القمر فيخسف القمر فيظلم ، وبناء على ذلك يمكن معرفة مواعيد الكسوف والخسوف بدقة بالغة قبل آماد بعيدة باستخدام الحسابات الفلكية ، وهو يعارض بزعمهم قوله صلى الله عليه وسلم « آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده »!

وهذا الاستشكال ناشىء من الفهم الخاطىء للابعاد التى يستطيع العلم الكونى أن يدركها ، ومن الخلط فى الحقائق الدينية الهامة :

ضلال الغلو فى العلة :

وذلك ان البحث فى الطبيعة والكون يستطيع أن يبين كيف يحدث هذا الشىء أو يتكون ، فهو مثلا يقول لنا ان تفاعل ذرتين من الهدروجين مع ذرة من الاوكسيجين يولد ذرة من الماء .

كذلك يقرر كما سبق ان الكسوف والخسوف يحدثان بسبب كذا وكذا مما ذكرناه ، لكن ليس من مهمة علم الكون ان يدرس أو يبين ما هى الحكمة الالهية والسر فى جعل هذا الشىء يقع ويحدث ، وكل شىء فى الكون يخلق وكل حادث يحدث فانه يكون بسبب يعرفه البحث العلمى لكنه ايضا يكون لحكمة واسرار قدرها الله عز وجل ، لا يستطيع علم المادة بحثها لانها ليست من متناول ادواته ووسائله فهى ليست من اختصاص العلم الطبيعى ، وليس يضر العلم الطبيعى الا يستطيعها لكن يضره ان ينكر ما لا يعارض علما ولا عقلا بمجرد التبجح والغرور ، فان ذلك الانكار تنكب عن جادة العلم جعل صاحبه متقولا بمحض الغرض والافتراء .

اسرار الخلق : علم نبوى خاص :

انما يؤخذ علم اسرار الخليقة والحكمة فيها من علم النبوة لانه علم نزل من لدن خالق الكون الذى يعلم السر فى السموات والارض ، وقد أخبرنا صاحب هذا العلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عبده فواجب علينا اذ عرفنا سبب خسوفهما الكونى ان يزيدنا ذلك البيان النبوى يقينا بما اخبر به الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى ، وقد قلنا فى كتابنا « هدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الصلوات الخاصة » :

« ان المؤمن يتيقن أن كل سبب ومسبب خاضع لارادته تعالى مخلوق بقدرته سبحانه ، فاذا وقع شىء غريب حدث للمؤمن الخوف لقوة اعتقاده بأن الله تعالى

يفعل ما يشاء ، وانه ذو العظمة الباهرة التى لا نهاية لها ، وذلك لا يمنع أن يكون ثمة أسباب ادت الى تلك الحادثة الغريبة التى خرقت النظام المألوف .

وذلك كمثل من ضبط الساعة ذات الجرس « المنبه » كى يرن جرسها فى وقت معين ، فهل يمتنع عن الاستيقاظ والانتباه لكونه يعلم ذلك من قبل ؟! هكذا علمنا النبى صلى الله عليه وسلم ان هذه التغييرات جعلها الله لحكمة عظيمة الا وهى العظة والذكرى . . فهل من مدكر !! » انتهى .

عظمة الاعلان النبوى فى مناسبة الكسوف :

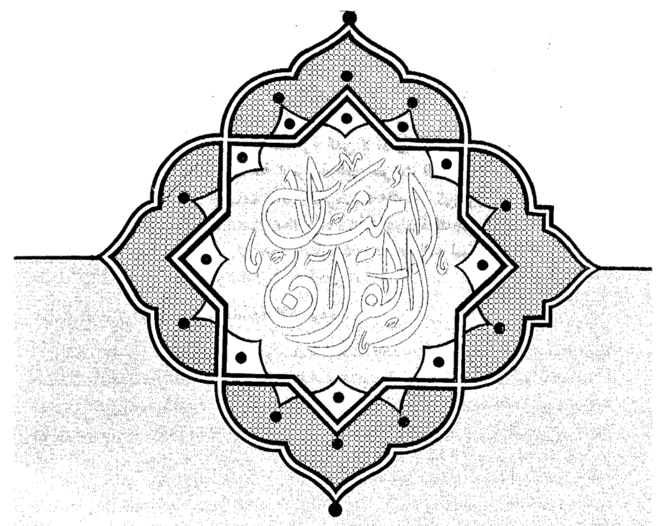
ومما يزيد فى عظمة هذا النبى وعظمة اعلانه هذا ، تلك الظروف التى صدر فيها هذا الاعلان المقرر للعلم المبدد للخرافة ، فقد جاء فى اشد الظروف النفسية المحزنة التى المت بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك انه كسفت الشمس فى عهده وصادف يوم كسوفها وفاة ابنه ابراهيم ، وكان ابراهيم قد كبر قليلا وترعرع مما عقد الامل بسلامته بعد اذ توفى كل اخوته الذكور من قبله ، وكان له مكان كبير فى نفس النبى البر الرؤوف الرحيم الذى شملت رحمته الد أعدائه المؤذين له ، فجاءت وفاة ابراهيم صدمة شديدة على النبى الوالد ، واى مصيبة اعظم من هذه تلم بالأب حيث فقد فلذة كبده وأمل نفسه ؟ فكان من الطبيعى والناس حديثو عهد بالجاهلية ان تظهر على السنتهم تلك المقالة : « كسفت الشمس لموت ابراهيم » وانها لكلمة بالغة الاثر فى استرضاء النفس واستمالتها ، ومنذا الذى يرزؤ بمثل هذا الخطب ثم لا يرى الدنيا مكتسية ثوب الحداد لمصابه ورزئه ، وان الشمس والقمر تشاركانه الأسى لمصابه ؟؟ !!

اثر هذا الموقف العلمى والحضارى :

لكن محمدا الامين صلى الله عليه وسلم يستشعر قبل هذا كله وفوق ذلك كل الحقيقة العلمية التى أطلعه الله عليها ولذا يقوم يخطب فى الناس ليحطم هذه الخرافة التى قيلت مواساة وتكريما لشخصه .

اجل : لم يستشعر النبى الا الحقيقة العلمية فى أمر كونى ، لم يلتفت الى عزاء ، ولا الى معنى فيه تعظيم لشأنه صلى الله عليه وسلم ، لقد كان أعظم الناس امانة واعظمهم صدقا فاستعلى على هذه الاعتبارات التى تطغى على الانسان ، وأعلن للعالم هذه الحقيقة : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينخسفان لموت احد ولا حياته » .

ومن هنا كان العلم بالكون وعلم الطبيعة مدينا فى تقدمه وفى رسوخه الى هذا النبى الذى فتح العيون على حقائق الامور كلها : الدينية والدنيوية والكونية ، فاستنارت القلوب بدعوته الدينية وازدهرت الحضارة بشريعته الغراء ، وتقدمت العلوم الكويتية بفضل رسالته ، صلى الله عليه وآله وسلم تسليما .



للدكتور : عبد الله محمود شحاته

من أساليب القرآن الكريم فى ضروب بيانه ونواحى اعجازه ضرب الامثال للناس وابراز المعقول فى صورة المحسوس وعرض الغائب فى معرض الحاضر وقياس النظير على النظير ، وبذلك يسلك القرآن سبيله الى الاقناع بالحكمة والموعظة الحسنة .

وقد أفرد أمثال القرآن بالتأليف عدد من العلماء منهم الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن حسين السلمى النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٦ هـ والامام شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية سنة ٧٥٤ هـ والامام ابو الحسن على بن محمد ابن حبيب الماوردى الشافعى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ وعقد السيوطى فى الاتقان بابا لامثال القرآن وفصلا لاقسام الامثال وانواعها (١) وفعل ذلك ابن القيم فى كتاب اعلام الموقعين .

وقد ذكر الله تعالى فى كتابه انه يضرب الامثال فقال سبحانه (**ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون**) « الزمر ٢٧ » .

وقال تعالى (**وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون**) العنكبوت ٤٣ (**وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون**) « الحشر ٢١ » .

---

(١) الاتقان ٢ / ١٣١ ، ١٣٢ .

وأخرج البيهقى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن القرآن نزل على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال) .

قال الماوردى من أعظم علم القرآن علم امثاله والناس فى غفلة عنـــه لاشتغالهم بالامثال واغفالهم الممثلات ، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام ، والناقة بلا زمـــام .

وقال غيره : قد عدّه الامام الشافعى مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الامثال الدالة على طاعته المبينة لاجتناب نواهيه ، وقال الشيخ عز الدين انما ضرب الله الامثال فى القرآن تذكيرا ووعظا فما اشتمل منها على تفاوت فى ثواب أو على احباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه فانه يدل على الاحكام ، وقال غيره ضرب الامثال فى القرآن يستفاد منه أمور كثيرة منها :

التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقـــل وتصويره بصورة المحسوس فان الامثال تصور المعانى بصورة الاشخاص لانها اثبت فى الاذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلى والغائب بالشاهد (1) .

وقال الزركشى فى البرهان ومن حكمته تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة .

تعريف المثـــل

والامثال : جمع مثل ، والمثل والمثل والمثيل : كالشبه والشبه والشبيـــه لفظا ومعنى .

والمثل فى الأدب : قول محكى سائر يقصد به تشبيه حال الذى حكى فيه

(1) الاتقان ١٣١/٢ وانظر تاريخ التفسير للشيخ قاسم القيسى مطبعة المجمع العـلمى بالعراق ص ٩٩ وفيه نص كلام السيوطى .

بحال الذى قيل لأجله ، أى يشبه مضربه بمورده ، مثل « رب رمية من غير رام » أى رب مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطىء ، وأول من قال هذا الحكم بن يغوث النقرى ، يضرب للمخطىء يصيب أحيانا ، وعلى هذا فلا بد له من مورد يشبه مضربه به . ولا تختلف صيغة المثل فى كل استعمالاته فيخاطب به المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث بصيغته التى ورد عليها ، ويطلق المثل علــى الحال والقصة العجيبة الشأن ، وبهذا المعنى فسر لفظ المثل فى كثير من الآيات . كقوله تعالى «**مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن**»١٥ — محمد (١) : أى قصتها وصفتها التى يتعجب منها .

واشار الزمخشرى الى هذه المعانى الثلاثة فى كشافه فقال : « والمثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل . ولم يضربوا مثلا ولا رأوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ثم قال : وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة .

وهناك معنى رابع ذهب اليه علماء البيان فى تعريف المثل . فهو عندهم : المجاز المركب الذى تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله . وأصله الاستعارة التمثيلية . كقولك للمتردد فى فعل امر : « مالى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى » .

وقيل فى ضابط المثل كذلك : انه ابراز المعنى فى صورة حسية تكسبه روعة وجمالا . والمثل بهذا المعنى لا يشترط ان يكون له مورد . كما لا يشترط أن يكون مجازا مركبا .

واذا نظرنا الى أمثال القرآن التى يذكرها المؤلفون وجدنا انهم يــوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر آخر ، سواء أورد هذا التمثيـــل بطريق الاستعارة ، أم بطريق التشبيه الصريح ؟ أو الآيات الدالة على معنى رائع بايجاز ، أو التى يصح استعمالها فيمـــا يشبه ما وردت فيـــه ، فان الله تعالى ابتداها دون أنيكـ ون لها مورد من قبل .

فأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوى الــذى هو الشبيه والنظير ، ولا يستقيم حملها على ما يذكر فى كتب اللغة لدى من الفوا فى الامثال ، اذ ليست أمثال القرآن أقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها ، ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان فمن أمثال القرآن مـــا ليس باستعارة وما لم يفش استعماله . ولذا كان الضابط الأخير اليق بتعريف المثل فى القرآن : فهو ابراز المعنى فى صورة رائعة موجزة لها وقعها فى النفس ، سواء كانت تشبيها أو قولا مرسلا .

فابن القيم يقول فى أمثال القرآن : تشبيه شىء بشىء فى حكمه ، وتقريب

---

(١) انظر بلاغة القرآن للاستاذ محمد الخضر حسين صفحة ٢٦ .

المعقول من المحسوس ، أو احد المحسوسين من الآخر واعتبار احدهما بالآخر .
ويسوق الامثلة : فنجد أكثرها على طريقة التشبيه الصريح كقوله تعالى (**انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء**) ٢٤ ــ يونس ومنها ما يجيء على طريقة التشبيه الضمنى ، كقوله تعالى (**ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه**) ١٢ ــ الحجرات اذ ليس فيه تشبيه صريح . ومنها مالم يشتمل على تشبيه ولا استعارة ، كقوله تعالى (**يايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**) ٧٣ ــ الحج (**إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا**) قد سماه الله مثلا وليس فيه استعارة ولا تشبيه .

انواع الامثال فى القرآن

الأمثال فى القرآن ثلاثة انواع : الأمثال المصرحة ٢ ــ الأمثال الكامنة ٣ ــ الأمثال المرسلة .
النوع الأول : الأمثال المصرحة : وهى ما صرح فيها بلفظ المثل ، أو ما يدل على التشبيه . وهى كثيرة فى القرآن نورد منها ما يأتى :
أ ــ قوله تعالى فى حق المنافقين (**مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون ، أو كصيب من من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق** ــ الى قوله ــ **ان الله على كل شىء قدير**) ١٧ ــ ٢٠ البقرة .
ففى هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين : مثلا ناريا فى قوله : (**كمثل الذى استوقد نارا ..**) لما فى النار من مادة النور ، ومثلا مائيا فى قوله : (**أو كصيب من السماء**) لما فى الماء من مادة الحياة ، وقد نزل الوحى من السماء متضمنا لاستنارة القلوب وحياتها ، وذكر الله حظ المنافقين فى الحالين . فهم بمنزلة من استوقد نارا للاضاءة والنفع حيث انتفعوا ماديا بالدخول فى الاسلام ، ولكنْ لم يكن له أثر نورى فى قلوبهم . فذهب الله بما فى النار من الاضاءة . (**ذهب الله بنورهم**) وابقى ما فيها من الاحراق . وهذا مثلهم النارى .
وذكر مثلهم المائى فشبههم بحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فخارت قواه ووضع أصبعيه فى أذنيه واغمض عينيه خوفا من صاعقة تصيبه ، لان القرآن بزواجره وأوامره ونواهيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق .
ب ــ وذكر الله المثلين : المائى والنارى ــ فى سورة الرعد للحق والباطل .
فقال تعالى (**انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق**

والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ، كذلك يضرب الله الأمثال) ١٧ ــ الرعد .

شبه الوحى الذى أنزله من السماء لحياة القلوب بالماء الــذى أنزله لحياة الارض بالنبات وشبه القلوب بالاودية ، والسيل اذا جرى فى الأوديه احتمل زبدا وغثاء ، فكذلك الهدى والعلم اذا سرى فى القلوب أثار ما فيها من الشهـــوات ليذهب بها ، وهذا هو المثل المائى فى قوله (**انزل من السماء ماء ..**) وهــكذا يضرب الله الحق والباطل .

وذكر المثل النارى فى قوله (**ومما يوقدون عليه فى النار ..**) فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد عند سبكها تخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجوهر الذى ينتفع به فيذهب جفاء . فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد وهذا الخبث .

النوع الثانى من الأمثال الكامنة ــ وهى التى لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ولكنها تدل على معان رائعة فى ايجاز ، يكون لها وقعها اذا نقلت الى ما يشبهها ، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها :

١ ــ ما فى معنى قولهم (خير الأمور الوسط) .

أ) قوله تعالى فى البقرة (**لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك)** ٦٨ ــ البقــرة .

ب) قوله تعالى فى النفقة (**والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)** ٦٧ ــ الفرقان .

جـ) قوله تعالى فى الصلاة (**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا)** . ١١ ــ الاسراء .

د) قوله تعالى فى الانفاق (**ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقــك ولا تبسطها كل البسط)** ٢٩ ــ الاسراء .

٢ ــ ما فى معنى قولهم (ليس الخبر كالمعاينة) .

قوله تعالى فى ابراهيم عليه السلام (**قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى** . ٢٦ ــ البقرة .

٣ ــ ما فى معنى قولهم (كما تدين تدان) .

قوله تعالى (**من يعمل سوءا يجز به)** ١٢٣ ــ النساء .

٤ ــ ما فى معنى (لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين) .

قوله تعالى على لسان يعقوب (**هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل)** ٦٤.ــ يوسف . وقد أورد السيوطى فى الاتقان احد عشر مثالا من هذا القبيل (١) .

---

(١) الاتقان ١٣٢/٢ وقارن بالتعبير الفنى فى القرآن للدكتور بكرى شيخ امين ص ٢٢٩ ، ومباحث فى علوم القرآن لمناع القطان ص ٢٤٤ .

النوع الثالث : الامثال المرسلة فى القرآن : وهى جمل ارسلت ارسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه . فهى آيات جارية مجرى الأمثال . وقد نقل السيوطى فى الاتقان طائفة منها .

من امثلة ذلك مايأتى :

١ ـ (**الآن حصحص الحق**) ٥١ ـ يوسف ٢ ـ (**ليس لها من دون الله كاشفة**) ٥٨ النجم ٣ ـ (**قضى الامر الذى فيه تستفتيان**) ٤١ ـ يوسف ٤ ـ (**أليس الصبح بقريب**) ٨٥ ـ هود ٥ ـ (**لكل نبأ مستقر**) ٦٧ ـ الانعام ٦ ـ (**ولايحيق المكر السىء الا باهله**) ٤٣ ـ فاطر ٧ ـ (**قل كل يعمل على شاكلته**) ٨٤ ـ الاسراء ٨ ـ (**وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم**) البقرة ٢١٦ ٩ ـ (**كل نفس بما كسبت رهينة**) ٣٨ ـ المدثر ١٠ ـ (**هل جزاء الاحسان الا الاحسان**) ٦٠ ـ الرحمن ١١ ـ (**كل حزب بما لديهم فرحون**) ـ ٥٣ المؤمنون ١٢ ـ (**ضعف الطالب والمطلوب**) ٧٣ ـ الحج ١٣ ـ(**لمثل هذا فليعمل العاملون**) ٦١ ـ الصافات ١٤ ـ (**لا يستوى الخبيث والطيب**) ١٠٠ ـ المائدة ١٥ ـ (**كم من فئة قليلة غلبتفئة كثيرة باذن الله**) ٢٤٩ ـ البقرة ١٦ ـ (**تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى**) ١٤ ـ الحشر .

واختلفوا فى هذا النوع من الآيات الذى يسمونه ارسال المثل ، ما حكم استعماله استعمال الامثال ؟

فرآه بعض أهل العلم خروجا عن ادب القرآن ، قال الرازى فى تفسير قوله تعالى (**لكم دينكم ولى دين**) الكافرون ٦ جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند المتاركة ، وذلك غير جائز ، لانه تعالى ما انزل القرآن ليتمثل به ، بل يتدبر فيه ، ثم يعمل بموجبه .

ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر ان يتمثل الرجل بالقرآن فى مقام الجد ، كأن يأسف أسفا شديدا لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول : (**ليس لها من دون الله كاشفة**) أو يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواءه الى باطله فيقول (**لكم دينكم ولى دين**) والاثم الكبير فى ان يقصد الرجل الى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى فى مقام الهزل والمزاح (١) .

« فوائد الأمثال »

١ ـ الامثال تبرز المعقول فى صورة المحسوس الذى يلمسه الناس ، فيتقبله العقل لان المعانى المعقولة لا تستقر فى الذهن الا اذا صيغت فى صورة حسية قريبة الفهم، كما ضرب الله مثلا لحال المنفق رياء ، حيث لايحصل من انفاقه

---

(١) بلاغة القرآن ص ٣٣ .

على شىء من الثواب ، فقال تعالى **(فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا)** ٢٦٤ ـــ البقرة .

٢ ـــ وتكشف الامثال عن الحقائق ، وتعرض الغائب فى معرض الحاضر ، كقوله تعـــالى **(الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس)** ٢٧٥ ـــ البقرة .

٣ ـــ وتجمع الامثال المعنى الرائع فى عبارة موجزة كالامثال الكامنة والامثال المرسلة فى الآيات الانفة الذكر .

٤ ـــ ويضرب المثل للترغيب فى الممثل حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس ، كما ضرب الله مثلا لحال المنفق فى سبيل الله حيث يعود عليه الانفاق بخير كثير ، فقال تعالى **(مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)** ٢٦١ ـــ البقرة .

٥ ـــ ويضرب المثل للتنفير حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس ، كقوله تعالى فى النهى عن الغيبة **(ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم أن ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه)** ١٢ الحجرات .

٦ ـــ ويضرب المثل لمدح الممثل كقوله تعالى فى الصحابة **(ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطاه فآزرة فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار)** ٢٩ ـــ الفتح وكذلك حال الصحابة فانهم كانـــوا فى بدء الأمر قليلا ، ثم أخذوا فى النمو حتى استحكم أمرهم ، وامتلأت القلـــوب اعجابا بعظمتهم .

٧ ـــ ويضرب المثل حيث يكون للممثل به صفة يستقبحها الناس ، كما ضرب الله مثلا لحال من آتاه الله كتابه ، فتنكب الطريق عن العمل به ، وانحط فـــى أهوائه ، فقال تعالى **(واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منهـــا فاتبعـــه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عيه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا)** ١٧٤ ، ١٧٥ ـــ الاعراف .

٨ ـــ والأمثال أوقع فى النفس ، وابلغ فى الوعظ ، واقوى فى الزجر ، واقوم فى الاقناع ، وقد أكثر الله تعالى الامثال فى القرآن للتذكرة والعبرة ، قال تعالى : **(وضربنا لكم الامثال)** ابراهيم ـــ ٤٥ وقد ضربها النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه ، واستعان بها الداعون الى الله فى كل عصر لنصرة الحق واقامة الحجة ، ويستعين بها المربون ، ويتخذونها من وسائل الايضاح والتشويق ، ووسائل التربية فى الترغيب أو التنفير ، فى المدح أو الذم (١) .

---

(١) مناع القطان مباحث فى علوم القرآن ص ٢٤٧ .

« من أمثال العـــرب »

استعمل العرب المثل فى اشعارهم ونثرهم ، كما ورد فى السنة النبوية طائفة من الامثال ، وعقد لها ابو عيسى الترمذى بابا فى جامعة اورد فيه أربعين حديثا ، وقال القاضى أبو بكر بن العربى « لم أر من أهل الحديث من صنف فأفرد للامثال بابا غير ابى عيسى ولله دره لقد فتح بابا ، وبنى قصرا أو دارا ولكنه اختط خطا صغيرا فنحن نقنع به ونشكره عليه » .

وسأورد هنا طائفة من الامثـــــال العربية السائرة وهى فى مجموعها تدل على مفهوم خاص للطبيعة العربيةفى جاهليتها واسلامها :

المثــل	موضوعـــه
ان البغاث بأرضنا يستنسر	يضرب للضعيف يصير قويا
ان العوان لا تعلم الخمرة ؟	يضرب للخبير المجرب
ان الجبان حتفه من فوقه	يضرب لمن يخاف من محذور فيصيبه
انما اكلت يوم اكل الثور الابيض	الاتعاظ بما حدث للغير
اذا تخاصم اللصان ظهر المسروق	الاختلاف يظهر الشىء الضائع
رب أخ لك لم تلده امك	الاخوة الصادقـــــة
ان ترد الماء بماء اكيس	الاستعداد للامر واحكامه
ما يوم حليمة بســــــر	اشتهـــار الامر
نفس عصام سودت عصامـــا	الاعتماد على النفس
زر غبا تزدد حبـــا	تقليل الزيـــــارة
لعل له عذرا وانت تلوم	التماس الاعذار للناس
لا ناقتى فى هذا ولا جملى	الامر ليس فيه مصلحة
لو ترك القطا ليلا لنـــــام	الامر الخفى يظهر مايدل عليه
فى الصيف ضيعت اللبـــن	الامر يطلب بعد فواته
بلغ السيل الزبـــــى	الامور تتجاوز فى الشـــدة
اذا أردت أن تطاع فسل ما يستطاع	الامر بما فى الطاقة والوسع
قلب له ظهر المجـــن	تبدل الاحـــــوال
لكل ساقطة لاقطة	المتشابهان ينجذب احدهما الى الاخر
من اكل على مائدتين اختنق	التذبذب على موائد الغير
يقدم رجلا ويؤخر اخرى	التردد فى الامـــــر
كما تدين تـــــدان	الجزاء من جنس العمل
من جد وجد ومن زرع حصد	الجد والاجتهاد
الحاجة تفتق الحيلة	الحاجة سبب الاختراع

المثـل	موضوعـه
عند الصباح يحمد القوم السرى	الراحة بعد التعب
يعلم من اين تؤكل الكتف	الرجل العارف بوجه المنفعة
كل اناء بالذى فيه ينضح	رجوع الفرع الى اصلـه
تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها	رفض الكريم العمل الخسيس
ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى	الرفق والتوسط فى الاعمال (حديث)
الظلم مرتعه وخيم	عاقبـة الظلم
عند جهينة الخبر اليقين	العلم بباطن الامـور
صدرك أوسع لسرك	كل انسان اكتم لسره
الق دلوك فى الدلاء	المزاحمة فى معترك الحياة
لكل مقام مقـال (١)	مطابقة المقال للحـال

وتلاحظ على الامثال العربية انهاتجمع صفات أربعة :
١ ـ ايجاد اللفظ ٢ ـ اصابة المعنى ٣ ـ حسن التشبيه ٤ ـ جودة الكناية .

ولكن المثل فى القرآن لا يخضع لهذه الشروط لان امثلة القرآن انواع منها الامثال المصرحة ، والامثال الكامنة والامثال المرسلة وقد اعترض بعض الكتاب المحدثين على ما ذهب اليه السيوطى فى الاتقان حيث عد السيوطى احد عشر مثالا من الامثال الكامنة فى القرآن مثل (**من يعمل سوءا يجز به**) النساء ـ ١٢٣ فهى فى معنى قولهم (كماتدين تدان) .

وايضا قوله تعالى (**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه**) يونس ٣٩ فهى فى معنى (من جهل شيئا عاداه) .

قال هذا الباحث : (ويبدوا لنا أن ذلك تنطع وتكلف لاحد لهما . . لأن الصيغة التى تشترط فى المثل لا تتوافر فيها ولذلك فنحن نرفض ما جاء به السيوطى ومن تبعه ولا نعتبر الامثال الكامنة شيئا يستحق أن يدرج فى بحث الامثال) (٢) .

ونحن لا نوافق هذا الباحث على رأيه ونرى ان الامثال القرآنية لا تخضع لما يشترطه الدارسون العرب فى المثل السائر من ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة ، لان للقرآن أسلوبا يتميز به على سائر الكـلام فأحيانا يوافق الشروط المطلوبة فى المثل واحيانا يخرج عليها ولكنه فى كلا الحالتين يظل مثلا من أمثلة القرآن المتعددة الانواع كما أسلفنا .

(١) انظر الامثال للميدانى ، ومن امثال العرب ـ تاليف محمد عبد الغنى حسن والعشرى .
(٢) دكتور بكرى شيخ أمين التعبير الفنى فى القرآن ص ٢٢٩ .

من قضاة الإسلام

أبو يوسف

للدكتور فؤاد عبد المنعم

تمهيد :

شهد مجتمع الشرع الاسلامى ، تحقيق العدل ، بايصال الحقوق الى اصحابها ، وتطبيق مبادئه وتعاليمه من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فيما يعرض عليهم من منازعات واقضية ، بذلوا كل طاقاتهم فى المسائل الجزئية المتجددة التى لا نص فيها من الكتاب او السنة ليصلوا فيها الى وجه الحق ، فنعلم قطعا ويقينا ان الحوادث والوقائع فى العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد ، ونعلم قطعا ويقينا انه لم يرد فى كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك ايضا ، والنصوص اذا كانت متناهية ، والوقائع غير متناهية ، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى ، علم قطعا ان الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار ، حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد .

من هؤلاء الرجال قاضى القضاة ابو يوسف . وتبدو اهمية بحث شخصيته ، انها تعين قضاة اليوم على المضى فى طريق اسلافهم ، يبتغون الحق ، ولا يخشون فيه لومة لائم .

معالم حياته :

● عربى الاصل ، من قبيلة الاوس التى نصرت رسول الله ، جده الاكبر سعد بن حبه اشترك — على الرغم من صغر سنه — مقاتلا جادا فى سبيل الله فى غزوة الخندق ، فجذب

نظر الرسول عليه السلام فأقبل عليه النبـــى ودعـــا له ومسح رأســـه ويقول ابو يوسف « تلك المسحة فينا الى يوم القيامة » .

● والده ابراهيم بن حبيب خياط فقير بالكوفة ، انعم الله عليه بيعقوب فى ١١٣ هـ ــ ٧٣١هـ الذى اشتهـــر فيما بعد بأبى يوسف قاضى القضاة

● بدأت علامات الخير فى ابـــى يوسف منذ صغره ، فسعى الى حفظ الاحاديث وسمعها من كبار رجـــال عصره مثل : ابى اسحاق الشيبانـــى وسليمان التميمـــــى ، والاعمش ، وهشام بن عروة ، وعطاء بن السائب وعندما اصبح سنه سبعة عشرة عاما اخذ يملى على الناس . يقـــــول الطبرى (٣١٠هـ) عنه « كان يحضر المحدث فيحفظ خمسين او ستيـــن حديثا ثم يقوم ويمليها على النـــاس كما سمعها » .

● تفقه فى الدين وتتلمذ على يد محمد بن عبد الرحمن بن ابى ليلـــى (١٨٤هـ) تسع سنين ، وتولـــى استاذه القضاء فانتقل الى ابـــى حنيفـــه (١٥٠ هـ) وحرص علـــى مجلسه . يروى لنا ابو يوسف حالة فى تلك الفترة فيقول : « كنت اطلب الحديث والفقه وانا مقل فجاء ابـــى يوما وانا عند ابى حنيفة وقال : يا بنى لا تمدن رجلك مع ابى حنيفـــة ، فان خبزه مشوى وانت محتاج الـــى المعاش فآثرت طاعة ابى فتفقدنى ابو حنيفه فجعلت اتعاهد مجلسه » .. وجاء والدى يضج ويصيح ويقول : يعصينى هذا الولد وانتم تعينونـــه ؟ فقال له ابو حنيفة وماذا تريد منه ؟ قال اريد منه ان يلزم السوق ويعول عيالـــه » . ويذكر لنـــا القاضـــى التنوخى (٣٨٤هـ) فى كتابه الفـــرج بعد الشدة فيقول : « خرج ابـــو يوسف لمجلس ابى حنيفه يوما فأقام فيه وعاد ليلا وطلب ما يأكل ، فجاءته امه بكتبه مغطاة فكشفها فقال مـــا هذا ؟ قالت ما انت مشغول بـــه نهـــارك اجمع فكل منه ليـــلا .. » ورغبته فى العلم جعلته من اجـــل أصحاب ابى حنيفه . وقد تـــوسم فيه استاذه اهلية القضاء .

● تولى القضاء فى زمن الخليفة المهدى (١٦٩هـ) والهادى (١٧٠هـ) ووثقت الصلة بينه وبين هـــارون الرشيد (١٩٣هـ) فولاه قضاء البلاد كلها ، واطلق عليه قاضى القضاة وهو اول من اطلق عليه ذلك اللقب ، وبقى فى ذلك المنصب الى ان مات ببغداد عام ١٨٢ هـ ــ ٧٩٨ م .

دفع شبهة عن ابى يوسف :

ادعى بعض المعاصرين لابـــى يوسف ، انه كان يجامل الحاكـــم فى قضائه وقد تلقف المستشرقون هذه الروايات ورموا أبا يوسف بعـــدم العـــدل ويـــدحض هـــذه الفرية ما جاء بأخبار القضاة لوكيع : « خوصم موسى الهادى (١٧٠هـ) . امير المؤمنين ــ الى ابى يوســـف فى بستانه فكان الحكم فى الظاهـــر لامير المؤمنين وكان الامر على خلاف ما يظهر من الحكم فقال له اميـــر المؤمنين : ما صنعت فى الامر الذى

نتنازع اليك فيه ؟ قال : خصم امير المؤمنين يسألنى ان احلف امير المؤمنين ان شهوده شهودا على الحق فقال موسى : وترى ذلك ؟ قال : قد كان ابن الجاليلى يراه فقال : فأردد البستان عليه .

ان عدم اطمئنان ابى يوسف لشهادة شهود الحاكم وسعيه للوصول الى الحق فى هذه المسألة ، دفعه ان يطلب بجرأة من الحاكم نفسه توثيق شهوده بأن يقسم على انهم صادقون ويتهرب الحاكم من القسم بلباقة ، وامر ابا يوسف بأن يحكم لخصمه . وقد كانت لابى يوسف عند الرشيد منزلة رفيعة بحيث يصل الى دار الخلافة راكبا دابته فيرفع له الستر فيدخل كما هو راكبا ، والرشيد يبدؤه بالسلام « مداعبا » وقد سأله يوما : ان انا شهدت امرا هل تقبلها منى ؟ قال ابو يوسف : لا فسأله عن ذلك قال : لانك تتكبر على الخلق، ولا تحضر الجماعة مع المسلمين ، فبنى الرشيد مسجدا فى داره وسمح للعامة بالصلاة فى مسجده وحضر الخليفة الصلاة معهم .

ويوجه ابو يوسف الرشيد فيقول له : « ان الدعاة مؤدون الى ربهم ما يؤدى الراعى الى ربه ، فاقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار فان اسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته . . وكن من خشية الله على حذر واجعل الناس فى امر الله سواء القريب والبعيد ولا تخف فى الله لومة لائم » ولقد كانت ثقة ابى يوسف فى عدله دفعته الى ان يقول ساعة موته : « اللهم انك تعلم اننى لم اجر فى حكم حكمته بين عبادك متعمدا ، ولقد اجتهدت فى الحكم بما يوافق كتابك وسنه نبيك . . » . فكيف يمكن أن يقال ان ابا يوسف يجامل الحاكم على حساب المحكومين ؟!

صورة من انصاف ابى يوسف وفقهه :

روى الحسن بن زياد فقال : « كنا يوما بباب ابى يوسف اذ اقبل من دار الرشيد يبتسم فقال : حدثت مسألة فى دار امير المؤمنين ، وهى ان قاضيا بأرمينيا اختصم اليه جاريتان فى جرتين قد استقتا ماء . فوضعتا الجرتين لتستريحا فسقطت جرة احداهما على جرة الاخرى فانكسرتا فاختصمتا الى القاضى فقالت كل واحدة منهما سقطت جرة هذه على جرتى وكسرتها فجعل القاضى ينظر اليهما لا يعرف المدعى منهما من المدعى عليه . فقال للقيم : اخرهما ! ثم صاحتا واويحتا ! فقال للقيم : اذهب فاشتر لهما جرتين وارض كلا منهما . فلما كان العشى قال لرجل كان يأنس به : ماذا يقول الناس ويخوضون فيه من امرنا ؟ قال يقولون : ان القاضى لم يحسن ان يحكم فى جرتين حتى غرمهما ! فقال سبحان الله : افلا يرضون منى ان احكم فيما احسن واغرم فيما لا احسن ؟! قال ابو يوسف : فقلت يا

امير المؤمنين هذا رجل عاقل فـزد فى ارزاقه للغرامات الف درهم كـل شهر . فقلنا لابى يوسف كيـف جواب هذه المسألة ؟ قال ان كانتـا وضعتا الجرتين فى مستـراح للمسلمين فكل واحدة منهما جاعلـة جرتها فى حقها غير جانية علـى صاحبتها وعلى كل واحدة منهما قيمة جرة صاحبتها ، وان كانت احداهما فى مستراح والاخرى فى غيـر المستراح فالتى فى غير المستـراح جانية على صاحبتها » . فأبـو يوسف كان ينصف من يعمل معه من القضاة وان خالفهم فى الراى .

آثاره واثره :

● ان كتب ابى يوسف التى وصلت الينا قليلة فقد ضاع منها الكثير وعلى الرغم من قلة ما وصلنا منها الا انها تشهد بأنه فقيه كبير بل ورائد مـن رواد علم الاقتصاد ، ففى كتابـه الخراج يبحث عن الموارد الماليـة للدولة الاسلامية من جباية الخـراج والعشور والصدقات والجوالـى . ويعنى ابو يوسف بالخراج ضريبـة الارض فقد تركت الارض المفتوحـة على ملك اصحابها وفرض عليهم دفع ضريبة هى الخراج . ويعنى بالعشور ما يحصل من الاراضى التى اسلـم اهلها كأرض المدينة واليمن . ويعنى بالصدقات الزكاة المفروضة علـى المسلمين من مالهم . وبالجوالـى الجزية على رؤوس الذميين وامثالهم فهو يتعرض لضرائب الارض وضرائب الرؤوس ويظهر فى الكتاب اثر النقل والعقل معا ، فهو كثير النقل عـن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وغيرهم ، وهو مع هـذا يخالف عمر بن الخطاب فيما قدر على الاراضى ، ويرد على ما يتعلق بهـا من اعتراض فلقد سئل ابو يوسف : لم لم ترد الناس الى ما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وضعه على ارضهم ونخلهم وشجرهم . وقـد كانوا بذلك راضين وله محتملين ؟ قال ابو يوسف : ان عمر رضى الله عنه راى الارض فى ذلك الـوقت محتملة لما وضع عليها ، ولم يقـل وضع عليها ما وضع من الخراج ان هذا الخراج لازم لاهل الخـراج ، وحتم عليهم ، ولا يجوز لى ولمن بعدى من الخلفاء ان ينقص منه ولا يزيـد فيه ، بل كان فيما قال لحذيفة وعثمان حين اتياه بخبر ما كان استعملهمـا عليه من ارض العراق : « لعلكمـا حملتما الارض ما لا تطيق » دليـل على انهما لو اخبراه انها لا تطيـق ذلك الذى حملته من اهلها لنقـص مما كان جعله عليهم من الخراج .. فلما راينا ما كان جعله (عمر) على ارضهم من الخراج يصعب عليهم ، ورأينا اخذهم بذلك داعيا الى اجلائهم عن ارضهم وتركهم لها لم تحملهم ما لا يطيقون ، ولم تأخذهم من الخراج الا بما تحتمله أرضهـم » . ومـن هنا يتضح لنا اجتهاد الرجل وقـوة حجته .

● كتاب اختلاف ابى حنيفة وابن ابى ليلى ، وهو نتيجة طبيعيـة للتلمذة عليهما ، وكان منصفا بينهما ،

ويبين موقفه منهما ، وكان لـه استقلاله وذاتيته فقد سأله امير المؤمنين هارون الرشيد عما يخرج من البحر من حلية وعنبر وقد كان ابو حنيفة وابن ابى ليلى رحمهما الله يقولان : ليس فى شيء من ذلك شيء لانه بمنزله السمك واما انا فأرى فى ذلك الخمس واربعة اخماسه لمن اخرجه . لانه قد روينا فيه حديثا عن عمر رضى الله عنه ، ووافقه عليه عبد الله بن عباس فاتبعنا الاثر ولم نر خلافه .

● كتاب الرد على سير الاوزاعى: ويرد ابو يوسف فيه على عبد الرحمن الاوزاعى امام الشام فى المسائل التى خالف فيها ابا حنيفة فى سيرة المسلمين فى معاملة المشركين من اهل الحرب ، واهل العهد والمستأمنين واهل الذمة واهل البغى ، وما يتعلق بها من غنائم واثار .

● كتاب الاثار ويضم روايات ابى حنيفة وبعض ارائه الفقهية . . ومن الكتب التى لم تصلنا ما يذكره لنا ابن النديم فى فهرسته لابى يوسف من الكتب فى الاصول والامالى : كتاب الصلاة ، وكتاب الزكاة وكتاب الصيام وكتاب الفرائض وكتاب البيوع وكتاب الحدود وكتاب الوكالة وكتاب الوصايا ، وكتاب الصيد والذبائح وكتاب الغصب والاستبراء.

ولابى يوسف املاء رواه بشر بن الوليد القاضى يحتوى على ستة وثلاثين كتابا مما فرعه ابو يوسف : كتاب اختلاف الامصار وكتاب الرد على مالك بن انس وكتاب الجوامع الفه ليحيى بن خالد يحتوى على اربعين كتابا ذكر فيه اختلاف الناس والرأى المأخوذة به » . وكتاب ادب القاضى وقد ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون .

وكان لابى يوسف اثره فى نشر المذهب الحنفى بما الف من كتب سجل فيها اراء استاذه : ولتوليه القضاء ومنصب قاضى القضاة ، وقد كان للتجربة العملية فضل كبير فى تكوين كثير من آرائه واجتهاده التى تتسم بالواقعية ولذلك فقد صرح الفقهاء بأن الفتوى على قول ابى يوسف فيما يتعلق بالقضاء والشهادات ، وان القضاة الذين جاءوا بعده كانوا يأخذون بأحكامه .

واخيرا انقرض رأى الائمة فيه : يقول استاذه الامام ابو حنيفه عندما زار تلميذه ابا يوسف وهو مريض : « ان يمت هذا الفتى فهو اعلم من عليها وأومأ على الارض » ويروى عن الامام مالك قوله : « لم يكن فى اصحاب ابى حنيفة مثل ابى يوسف علما وفقها ومعرفة ، لولاه لم يذكر ابو حنيفة ولا ابن ابى ليلى لكنه نشر علمهما . . » ويقول الامام احمد بن حنبل : « ابو يوسف كان منصفا فى الحديث .

لقد اصبح ابن الخياط الفقير يضرب به المثل فى طلب العلم والحرص عليه وكيف وصلت به ارادته الى اعلى المناصب فى مجتمع اسلامى تحققت فيه تكافؤ الفرص امام الجميع .

مائدة القارئ

« ونضع الموازين القسط ليــوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان متقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين » .

ــ قرآن كريم ــ

لا تكونوا امعة

اخرج الترمذى عن حذيفة رضــــى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم

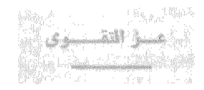
لا تكونوا امعة ، تقولــــــون إن احسن الناس أحسنا ، وان ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا الا تظلموا » .

ثلاث من كن فيه كن عليه

البغى : قال تعالى :**(يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم)** .

المكر : قال سبحانه (**ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله)** .

النكث : قال تعالى : (**فمن نكث فانما ينكث على نفسه)** .



قال عبد الله بن الحكم للامام الشافعى لما قدم مصر : اذا اردت ان تسكن هذا البلد فليكن لك قـــــوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به .

فقال الامام الشافعى رضى اللـــه عنه : يا أبا محمد من لم تعزه التقوى فلا عز له ، ولقد ولدت بغزة ، وربيت بالحجاز ، وماعندنا قوت ليلة ، ومابتنا جياعا قط ..

تفـــــــاؤل

تفقد المأمون جنده يوما .. فرأى أحدهم فسأله عن اسمه فقـــــال : عمر ، عمرك الله ، فقال له المأمون : ابن من ؟ فقال : ابن سعد أسعدك الله . فقال ابن من ؟ فقال : ابن سالم سلمك الله .

فقال له : انت تحـــرس الليلة . فقال : الله يحرسك يا أمير المؤمنين وهو خير حافظا وهو أرحم الراحمين فأمر له بجائزة ثم مضى المأمـــون وهو يقول :

ان أخا الهيجاء من يسعى معـــك ومن يضر نفســك لينفعـــبـــك
ومن اذا ريب الزمان صـــــدعـــك شتت فيه شمله ليجمعـــــــك

العــــزب

يقال : فلان عازب أو أعزب : أى غير متزوج وهذا خطأ ، والصـــواب فلان عزب .

جاء فى المعاجم اللغوية : العزب من لا أهل له .

ذلاقة اللسان

اياك والاعتقاد بأن ذلاقة اللسان تدل على الفطنة ، فالمريض لا يكـــثر هذيانه الا اذا اشتدت عليه وطـــأة الداء .

ابـن سبيـل

من اطرف ما يروى ان جرير بن الخطفى قدم على عمر بن عبد العزيز .. واراد ان ينشده شعرا فنهاه عمر ، فقال جرير ، انما اذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذكره .. فقـــال :

ان الذي ابتعث النبي محمـــدا جعل الخلافة للأمير العـــادل
رد المظالم حقهــا بيقينهـــــا عن جورها ، واقام ميل المائـــل
والله انزل في القرآن فريضـــة لابن السبيل وللفقير العـــائل
اني لارجو منك خيرا عاجـــلا والنفس مغرمة بحب العاجـــل

فقال له عمر : ما اجد لك فـــى كتاب الله حقا . قال : بلى يا أميـــر المؤمنين ، انني ابن سبيل فامر له من خاصة ماله بخمسين دينارا .



للدكتور محمد محمد ابو شوك

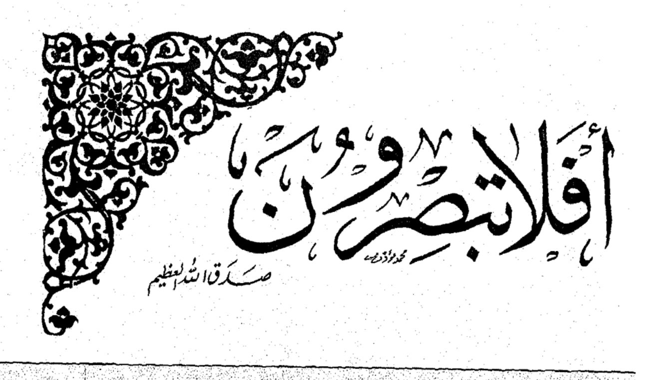
في مقال سابق تحدثت عن أعظم وأدق مختبر (معمل) من صنع خالق الكون وعمل كل وحدة فيه ، بنظـــام ودقة طوال عمر الانسان دون ما كلل ولا ملل . ذلك هو كبد الانسان .

وفي مقالي هذا ابسط امام القارىء دليلا آخر ليتفكر ويتدبر في خلق الله وما اجل أن يفكر ويتدبر الانسان في خلقه هو ، ليأخذ من نفسه العبر .

سأتعرض هذه المـــرة الى ادق وأعظم معمل تكرير في الوجود الا وهو (الكلوة) فلنتخيل معا مـــدى قدرة هذا المعمل وما يقوم به من اعمال لنقف على قدرة الخالق والصانع جـــل علاه .

ولأهمية هذا المعمل كانت دقـــة تركيبه ، ووفرة المادة العاملـــة به ووجود مدخر منها كثير حتى انه يمكن للانسان ان يحيا حياة طيبـــة بنصف كلوة سليمة .

وتحتوى كل كلوة على مليون وحدة تقوم بالعمل حتى اذا فقدت وحـــدة القدرة على القيام بالعمل حلت مكانها وحدة أخرى ، وحتى لا تتوقف وظائف الكلوة ، وعندما نقول ان الكلوة هبط عملها واصبحت غير قـــادرة عـــلى



العمل تكون معظم هذه الوحدات قد اصابها العطب بسبب المرض فتليفت أو انه اصاب الجهاز الذى ينقل اليها الدم خلل نتج عنه عدم وصول المادة (وهى الدم) الى الكلوة لتقوم بعملها . فيكون الهبوط كما نقول نحن الأطباء خارجا عن نطاق الكلوة وليس لمرض بها . وكذلك لو نسد الانبوب (الحالب) الخارج من الكلوة والحامل لنتاج عملها وهو البول فان الكلوة تتمدد وتتكيس وتتآكل الوحدات العاملة ويحدث بها الهبوط لو استمر هذا الانسداد لفترة طويلة .

وتتركب الوحدة العاملة بالكلوة من حافظة (تسمى حافظة بومان) نسبة لمكتشفها وتحيط بالشعيرات الدموية والتى يأتى اليها الدم من الشريان الكلوى وبمرور هذا الدم فى هذه الحافظة يخرج منه السائل المكون له بما يحمل من املاح ومواد فائضة عن الجسم والمواد التى يريد ان يتخلص منها والتى اذا بقيت به اضرته وبمرور هذا السائل داخل انابيب مختلفة الحجم والتركيب يمتص منه ما هو لازم للجسم ويفرز ما يزيد عن حاجته ، ويسير الى ان ينتهى فى

انابيب تسمى الأنابيب المجمعة والتى تصب جميعها فى حوض الكلى ويكون قد وصل فى هذه الأنابيب الكمية من السائل والمواد التى يريد الجسم ان يتخلص منها والتى تسمى البول . ومن حوض الكلى الى الحالب ومن الحالب الى المثانة .

هذه العملية المتناهية الدقة والتى تعمل فيها كل خلية مكونة لهذه الوحدة ، تمتص ما يحتاجه الجسم وتطرح ما لا يريده خارجها ، كل ذلك فى وقت وجيز . ولو علمنا ان ما يذهب الى الكلوتين من دم فى حالة الراحة هو (١٣٠٠ سم٣) كل دقيقة . هذا الدم لا بد ان ينقى اى يمر فى هذا المعمل لتكريره ، فان العقل ليقف مذهولا امام تلك القدرة الخارقة والتى لا يعرف كنهها ، والسر العجيب فى هذا النظام الدقيق الذى عرف الطب منه القليل ، وما خفى اعظم .

كل هذا يدل دلالة واضحة على عظمة الخالق وابداع الصانع واعود والقى بعض الضوء على ما تقوم به الكلوة من وظائف ليتبين لنا مدى اهميتها للجسم :

أولا : الكلوة هى التى تنظم كمية الماء بالجسم فلو تصورنا ان سبعة اثمان الماء الذى يمر بالكلوة يمتص ويعاد داخل الجسم ويخرج $^1/_8$ الماء على هيئة بول لعرفنا مدى ما تقوم به الكلوة من ابقاء ماء الجسم . ففى الشتاء يلاحظ ان كمية البول اكثر منها فى الصيف اذ ان الجسم يفقد بعض الماء عن طريق العرق اثناء الصيف . لذا تبقى الكلوة الماء اللازم للجسم فلا تخرجه وبذلك يقل البول فى الصيف .

ثانيا : كذلك تنظم الكلوة نسبة الاملاح فى الدم ، فالزائد عن الحاجة يخرج فى البول ، واذا نقص ملح ابقت على وجوده والحفاظ على جنسيته فى الدم حتى لا يتأثر الجسم واذا عرفنا ان لكل ملح أهمية خاصة فى وظائف الجسم لعرفنا مدى أهمية هذه العملية . فلنضرب بذلك مثلا : ملح كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) اذا نقص فى الجسم حدث انهاك شديد للعضلات ، فلا يمكن للجسم ان يتحرك من الضعف مع هبوط فى ضغط الدم ، أو الشعور بدوار ، أو تقلصات تحدث فى العضلات ، وغثيان وقىء ، وتقلصات عضلات البطن وآلام بها . وملح البوتاسيوم لو نقص أو زادت نسبته لحدثت تغيرات شديدة بالجسم منها كذلك الهبوط العام ، والتأثير على انتظام ضربات القلب والقيام بعمله ، وكذلك يحدث الغثيان والقىء ، وتتمدد الأمعاء ويحدث توقف لحركاتها وتنتفخ البطن .

من هنا يظهر جليا كم هو مهم تنظيم كمية كل ملح فى الدم وما يحدث للجسم اذا حدث خلل فى هذه الوظيفة التى تقوم بها الكلوة .

ثالثا : وتقوم الكلوة كذلك بالحفاظ على تفاعل الدم فتبقيه على ميله الى

الناحية القلوية وذلك بتغير ما يفرز فى البول من مواد فاذا زادت حموضة الدم نشطت الكلوة لافراز كل ما يسبب ذلك ، ودفعت المواد التى تساعد على علاج هذه الحموضة الزائدة والعودة بالدم الى حالته الطبيعية ، لأن تغير تفاعل الدم يسبب خطرا على الجسم فاذا لم تقم الكلوة بهذه الوظيفة كانت الغيبوبة الحمضية التى ربما أودت بحياة المريض . وعلى عكس ذلك اذا زادت نسبة قلوية الدم فانه يسبب تقلصات شديدة فى العضلات تؤلم المريض ، فتهب الكلوة لتصحح الوضع ويعود الدم الى حالته الطبيعية بافراز المواد القلوية وابقاء المواد الحمضية . وهناك من الأمراض العديدة ما يسبب تغير تفاعل الدم واذا لم تصحح الكلوة الوضع فان حالة المريض تسوء ، وتضطرب وظائف الأعضاء المختلفة ، فالمخ يتأثر والقلب يتأثر تبعا لهما فهما يحتلان مراكز قيادية للجسم،ثم تكون النتيجةالسيئة والتدهور فى حالة المريض .

رابعا : والكلوة تحافظ على المواد اللازمة للجسم اثناء مرور الدم فيها لتصفيته فلا يخرج الجلوكوز الهام لكافة الجسم ، ولا البروتينات الهامة لبناء الجسم والعمل على المناعة فيه ، ولا تخرج الفوسفات والبيكربونات والامونيا وغيرها من المواد ، ولا يحس بنعمة الحفاظ على هذه المواد داخل الجسم الا من يصاب بمرض أو قصور فى عمل الكلوة فتخرج البروتينات منها كما هو الحال فى التهاب الكلوة تحت الحادة فيتورم الجسم كله الى درجة شديدة حتى ان فتحة العين لا تكاد ترى وتتورم البطن ويمتلىء الصدر والبطن وتصاب كلها بانسكاب مائى شديد يؤثر على عمل هذه الأعضاء .

خامسا : ولولا الكلوة لما امكن لأى انسان أن يتعاطى دواء دون ان يؤثر كثيرا على بدنه — اذ أن الفائض من الدواء ، أو الناتج بعد حصول الجسم منه على ما يريد أو الناتج من تفاعله داخل الجسم كله تفرزه الكلوة — وكذلك اذا تعاطى الانسان ادوية مخدرة بكميات كبيرة خطأ أو قصدا للانتحار تكون الكلوة هى المسئولة عن التخلص من هذا المخدر ، واذا لم تعمل أو تباطأت فى العمل كانت النهاية المحتومة اذا وصلت كمية المخدر الى المستوى القاتل .

سادسا : والكلوة كذلك تطرد خارج الجسم الفضلات من المواد البروتينية وغيرها نتيجة لتمثيلها داخل الجسم والتى اذا بقيت بداخله اضرته وسببت مضاعفات كثيرة ومن ذلك البولينا وارتفاعها بسبب التسمم بالبولينا ، وحامض البوليك وارتفاعه يسبب مرض النقرس ، وغير ذلك من المواد . .

سابعا : ولقد وجد حديثا ان الكلوة تفرز هرمونا يساعد على عملية تكون الكرات الدموية الحمراء ونقص هذا

الهرمون يقلل من نسبة هذه الكرات الحمراء فى الدم .

من هنا يتضح جليا ، ان وظائف الكلوة لها الاهمية القصوى على الجسم ، ولكى نلمس هذه الأهمية احب أن أوضح للقارىء ماذا يحدث عندما يهبط العمل فى الكلوتين — اى أن البقية السليمة منهما لا تكفى للقيام بالمهمة المنوطة بهما ، وهذا ما يعرف بهبوط الكلوة والذى ينتج من امراض عدة منها التهاب الكلوة المزمن — انسداد الحالبين مع تضخم بالكلوتين أو تكيسهما ، مرض البول السكرى المتقدم، ارتفاع ضغط الدم المزمن، درن الكلوتين وتحدث كذلك فى الحالات الحادة عندما تصاب الأنابيب بتآكل شديد فجأة ولا يمكنها القيام بأى عمل .

كما يحدث فى الصدمات بعد الولادة والتى تكون مصحوبة بنزف شديد . أو عندما يفقد الجسم كمية كبيرة من الدم إثر حادثة أو نزف ولا يذهب الدم الكافى الى الكلوتين وكذلك فى بعض الصدمات المصحوبة بهبوط شديد فى ضغط الدم . أو الفقدان الشديد لسوائل الجسم المختلفة كما هو الحال فى الاسهال الشديد ، أو النزف الشديد من الامعاء ، أو العرق الشديد المصحوب بهبوط فى ضغط الدم . وكذلك تهبط الكلوة نتيجة للالتهابات الشديدة فى الجسم ، أو أثر تعاطى أدوية تؤثر على الكلوتين وتضعف عملهما مثل مركبات الزئبق أو السلفا .

ويمكن للمرء أن يتصور مدى ما يعانيه الجسم من هبوطهما بعدما عرفنا تلك الوظائف التى تقوم بها الكلوة . ففى الحالات الحادة يقل البول او ينعدم ، وفى الحالات المزمنة يكون البول كثيرا ولكنه غير مركز ويشبه الماء العادى الى حد بعيد لانه لا يحتوى على المواد العادية التى تفرز فى البول والتى لا يمكن للكلوة أن تفرزها الا بمقدار قليل ، لذا كانت شكوى المريض من انه يتبول عدة مرات ويضطر للقيام بالليل للتبول .

وفى حالة هبوط الكلوة ايضا يحتوى البول على بروتين (زلال) وكرات دموية حمراء واسطوانات . هذه الأشياء التى لا تفرز فى البول العادى وذلك لقصور الكلوة عن امكانية حجزها وردها داخل الجسم ويلاحظ على المريض انه شاحب اللون ، يحس باعياء شديد ، مع غثيان وقىء فى بعض الأوقات ، ثم تتغير حالته النفسية ، فتراه فى بعض الحالات خاملا ثم ارتباك وبلبلة فى افكاره ، واختلاط الامور عليه ، وفى الحالات الشديدة المتقدمة تعتريه غيبوبة تكون مصحوبة بتقلصات فى العضلات ، وفى بعض الحالات نزف شديد فى انحاء عدة من الجسم كالأنف والفم والجهاز الهضمى يزيد من شدة المرض مع احتقان الرئتين ، وترتفع نسبة البوتاسيوم فى الدم ، فتؤثر على جميع خلايا الجسم ، وكذلك

ترتفع نسبة البولينا وحامض البوليك وغيرها من المواد التى لا يمكن للكلوة افرازها الا وهى فى حالة سليمة .

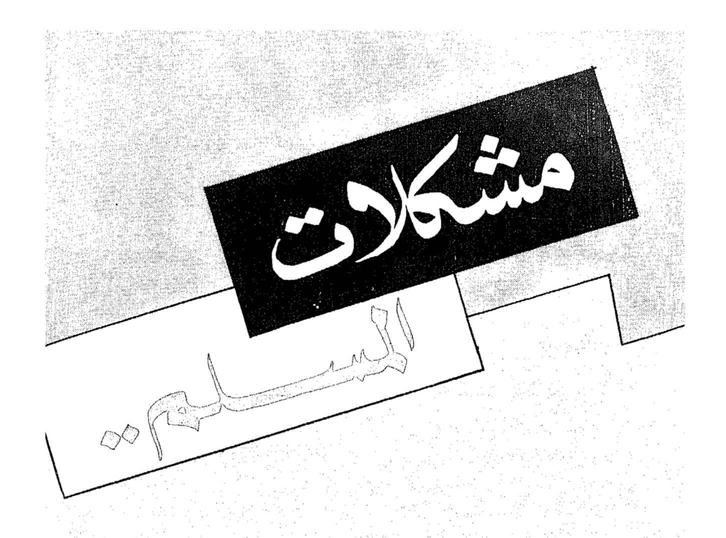
هذا ما يحدث عندما يتوقف هـذا المعمل وهذه المصفاة الجبارة لبعض الوقت لفترة قصيرة ربمـا يومين ، واذا تخيلنا ما يقوم به الأطباء عندما يحاولون أن يقلدوا عمل الكلوة بجهاز خاص يسمى الكلوة الصناعية يعرف الانسان فضل ربه عليه ، فالجهـاز المستعمل ضخم يحتاج الى حوالى ثلاث لترات من الدم أو أكثر ليعمل ثم يوصل دم المريض بالجهاز ويمر فى أنابيب يخرج منها بعد مروره لفترة ويكـون تركيبه قد عاد الى ما يشبه حالتـه الطبيعية ، وازيل ما به من مـواد ضارة بالجسم أو الزائدة عن حاجته وهذا العمل الذى تقوم به الكلـوة الصناعية يكون بشكل مؤقت وكمـا قلت لعدة ساعات ، ورغم ذلـك تحتاج الى جهد عدد من الاطبـاء ومساعديهم ، فما بالنا بكلـوة من صنع الرحمن تعمل ليلا ونهارا ، دون ما توقف لعمر الفرد ما شاء الله له ان يعيش وربما امتد الى نيف ومائة عام .

هذه هى الكلوة التى تدل على قدرة البارى جل وعلا سبحانه من خـالق قدير ، يخلق ما لا تعلمون .

مخلوقات تحير الالباب ــ ولا يعرف كنهها الا خالقها . وصدق قول اللـه سبحانه : **(ومـا أوتيتم من العلم إلا قليلا)** سورة الاسراء من الآية ٨٥ .

وليحمد الله كل انسان يتمتع بصحة جيدة فلقد سخر الله له اعضاء فـى جسمه تعمل ليلا ونهارا لتحفظ حياته ويعمل ويجاهد فى طمأنينة ويسر ، ولا يتسع المقام اذا عددنا الامراض التى تصيب الكلوة ، وما يعانيه الفرد اذا ابتلى بها ، وكما يقـال لا يحس الفرد بالنعمة الا اذا ابتلى بزوالها ، فمن هنا وجب علينا شكر الخـالق المبدع الذى من علينا وما زال بهذه النعم .





محمد المجذوب

الآن ، وقد انطوت الايام تلو الايام على فراق المواسم الروحية ، التى يعمر بها المسلمون رحاب الحرمين المباركين فى كل عام .. يجدر بالمؤمن أن يستعيد انطباعاته عنها ، ليحدد مدى آثارها فى نفسه وفى من حوله . واذا كان مثل هذا التقييم مجديا في كل مكان من دار الاسلام ، فهو أجدى علينا نحن الذين أكرمنا الله بالمقامفى ظل بيته المطهر ، ومسجد نبيه الانور،اللذين جعلهما مثابة المؤمنين ، يهفون اليهما من اداني الارض واقاصيها ، ليتعرضوا للنفحات القدسية ، وليغسلوا أرواحهم من أوضار الدنيا بشآبيب الرحمة ، التى خص بها الله تلك المناسبات التى لا تنسى ، وبخاصة فى هذه البقاع المكرمة ..

كان الحرمان كدابهما فى هذه المواسم الحبيبة مركز القلب من عالم المسلمين ، اذ اقبل اليهما كل من استطاع،وانعم الله عليه بغشيانهما، من مختلف الاقطار والالسنة والالوان حتى ليغصان ، على سعتهما ، بالوافدين قائمين وراكعين وقارئين .. فما يكاد ابن مكة والمدينة يجد معبرا يسلكه للمشاركة فى الصلاة .. لان سيل هؤلاء الاخوة قد تدفق حتى تجاوز ابواب الحرمين الى ماحولهما من السوح والرحاب ..

ولا جرم أن منظرا كهذا لا بد ان يؤجج الوهج الروحى فى قلوب أولى الالباب ممن يهمهم أمر الاسلاه وعزة المسلمين .. واذن فلا مندوحة لهم

للأستاذ محمد المجذوب

عن التساؤلات : انها لغمرة الايمان الحق تحرك هذه الالوف المؤلفة ، فتدفعها بأشواق الحب الاعلى الى نشدان القرب والرحمة والمغفرة ولكن .. ما حصيلة ذلك كله فى واقع الناس اثر هذه المناسبة الكريمة .

ان الكتائب التى انطلقت من هذين الحرمين لاستئصال الردة الجاهلية ، ومن ثم لابلاغ العالم رسالة الله ، لم تكد تبلغ فى الاحصاء عدد هذه الحشود المقبلة على طاعة الله فى حرميه ، ومع ذلك فقد حطم الاولون عروش الطواغيت ، وركزوا الوية الاسلام من قلب الصين الى بحر الظلمات ، واقاموا فى كل مكان وطئوه اسس الحضارة المثلى ، التى استمرت تظلل العالم طوال عشرة قرون ، ولا تزال تغذى العقول البشرية بروافد العلوم المنشئة للمدنيات حتى اليوم ، والى ان يرث الله الارض ومن عليها .

اما هؤلاء فقد عجزوا دون استثناء أن يسهموا بأى أثر فى الحضارة ، أو فى تصحيح مسيرة الانسانية التائهة ، لانهم عجزوا عن اكتشاف انفسهم ، ونسوا بذلك رسالتهم ، فراحوا يتكففون ايدى الآخرين ، ويتسقطون الفتات من موائد المعربدين .

كيف حدث هذا التفاوت بين الاولين والآخرين ؟ .. ما بال النفوس الكبيرة قد مسخت ، والعقول المبدعة قد عقمت، والمواهب الضخمة قد تقلصت ، حتى فقدت الصلاة والصيام والحج والتهجد اسرارها المحيية ، فلم تعد تصنع العجائب ، كما فعلت فى السابقين ؟. وقصرت موحياتها على أوقاتها ، فما أن تنقضى حتى يعود هؤلاء الى مسيرتهم من مهامة الضياع، لايكادون يعرفون اين يتجهون، ولا يحسنون حتى التفكير بما يعملون ..

لقد كانت العبادة عند سلف هذه الامة مراكز تعبئة لمدخرات العزائم ، يلوذون بها لتنقية الطاقات من أسباب الخور العالقة بها من إغراءات الدنيا ، فاذا قضوا مناسكهم ، وغادروا معاكفهم ، كانوا صورة القضاء الالهى ، يهدم صروح الباطل ، ويشيد معالم الحق ، فلا تقف فى وجوههم قوة بشرية ولا شيطانية ، حتى ليستطيع كل

منهم أن يقول لبغاة الارض ما قاله خالد لطغاة فارس : « **والله لو صعدتم الى السماء لأهبطكم الله الينا أو رفعنا اليكم حتى نقضى عليكم ..**»

أما نحن : خلفهم الذين آثروا دواعى الشهوات — فقد فرغنا العبادة من أرواحها ، فعادت كالزهر الصناعى ، له شكل الزهر وليس له أريجه ، وبذلك اختلفت نتائجها بيننا وبين اسلافنا ، فأولئك اتسعت بالعبادة آفاق نفوسهم،فكانوا عمالقة العالم الذى تضاءلت أناسيه حتى بدت كالاقزام بازائهم ، وفقدنا هذه الخاصة العجيبة فكلنا كالاقزام فى دنيا العمالقة !..

أولئك بانفتاحهم الروحى على كتاب الله وحكمة رسوله صلى الله عليه وسلم تزودوا بالقوة التى مكنت لهم من أزمة البشرية ، فكانت الارض كلها وطنهم لا يكاد ينازعهم فيه منازع ، ونحن بانغلاقنا دون هذه المشارق اضعنا تراثنا،وسلبنا أوطاننا وبتنا من الذل بحيث نغزى ولا نغزو ، فى كل مكان ، وكأننا أشياء لا يأبه بها انسان ! .. وكل ما نطيقه شكوى نرفعها الى الاعداء ، أو صرخة تتلاشىء مع الهباء .. ثم يفرج المسئولون عن صدورهم بتدمير حصونهم ، وارهاب المخلصين من اهليهم واخوانهم ، الذين كل ذنبهم انهم يقولون : ربنا الله ! ..

وبعد .. فهل من سبيل الى تصحيح هذه الاوضاع المقلوبة فنعيد للعبادة آثارها المسلوبة ، لكى نستعيد بها مركزنا الطبيعى من قيادة الدنيا وهداية القطعان الضالة ؟ !

مثل هذا السؤال كثيرا ما سمعته فلم أجد له جوابا الا فى هذا التقدير الالهى الجازم : « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ..**» الطلاق / ٣

فبالتقوى اذن نجد المخرج من كل هذه المحن وذلك الضياع .. وبالتقوى يرزقنا الله كل ما يعوزنا من التأييد والعزة والانقاذ ..

والمهم أن يعلم المسلم ان التقوى ليست كلمة تقال ولا صلاة تقام ، وان كانت الكلمة الطيبة والصلاة الخاشعة بعض شروطها ، وانما هى برنامج حياة يعالج بمفرداته أمراض نفسه فى تسليم مطلق لاوامر الله ، وانزجار واع عن مناهيه ، فلا يحب الا فى الله ، ولا يبغض الا له ، وكل علاقة بينه وبين غيره فعلى أساس من هذا المنهج الربانى ، الذى يقرره سبحانه بقوله الجامع المانع «**قل أن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين .**» التوبة /٢٤ ..

وتلك هى الركيزة العظمى التى عليها نهض كيان المجتمع الربانى فى ظل كل نبى ولا سيما فى ظلال خاتمهم ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، حتى لم يكن للمؤمنين

من رابطة تعدل رابطة الاسلام ، فهو منطلق الاخوة ، ومنه تستمد الصلات الاجتماعية مقوماتها وقيمها .. وقد راينا نبى الله نوحا عليه السلام يتوب الى ربه ويستغفره من استرحامه لولده ، بعد أن اتضح له انه من أصحاب الجحيم ، ورأينا بعده ابراهيم عليه السلام يتبرأ اليه سبحانه من ابيه لما تبين له انه عدو لله ، وفى الصدر الاول لهذه الامة رأينا الصحابى يقتل اباه واخاه ، ويخاصم كل نسيب وقريب فى مرضاة الله ورسوله ، ولا تزال كلمة الفاروق ، تدوى فى مسمع التاريخ يوم اشار على رسول الله فى أعقاب غزوة بدر قائلا : « أرى ان تمكننى من فلان — قريبه — فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله انه ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين » . (منتخب السنة) .

لا جرم أن التحقق بهذه الصفات امر قصى المنال ، ولكنه الامر الذى لاخيار فيه ، فنحن أمة كتاب هو خاتم رسالات الله ، فلا كيان لنا الا عن طريقه وبالتزامه ، بيد أن الرضى بهذا الواقع المحتوم والتحرك باتجاهه كفيلان بتحقيق ما نتوهمه من المستحيلات . وفى سورة الحديد من كتاب الله بشرى ما أحوج المسلمين الى تدبرها والانتفاع بها فى كوارثهم الساحقة . انه سبحانه يذكرنا بالتحجر الذى انتهت اليه قلوب أهل الكتب السابقة بسبب انصرافهم عن سبيلها ، فيحذر المؤمنين من الوقوع فى مثل تجربتهم « .. **ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون**) آية/١٦ .

ثم لا يلبث أن يلفتنا الى الوسيلة التى تنقذنا من ذلك المصير الرهيب ، الا وهى العودة الى كتاب الله ، فهى كفيلة بأن ترد الى قلوبنا الحياة بعد الموت ، والى عزائمنا القوة بعد الفوت ، والى سمعتنا المهابة بعد الذلة ، كما يرد الغيث الى الارض حياتها (**اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون**) الحديد /١٧ !!!

اجل .. ذلك هو الطريق السوى الى استرداد حقيقة اسلافنا ، ثم الى استنقاذ أوطاننا ، واستعادة عزتنا .. ورضى الله عن الفاروق الذى احاط بهذه الحقيقة أيما احاطة، اذ قال لاخيه ابى عبيدة عليهما رضوان الله : « نحن قوم أعزنا الله بالاسلام ، ومهما نبتغ العزة بغيره أذلنا الله .. »

وان الصعود الى هامة القمة لأمنية من حقها ان تراود كل مؤمن يعيش مأساة امته فى هذه الآونة ، التى تتكالب فيها أمم الشرق والغرب على المسلمين . ولكن تعيين الوسائل الضامنة لتحقيق هذه الأمنية لا يعقله إلا العالمون ..

ان المشكلة فى رأيى المتواضع ذات وجوه ، كل منها مشكلة لا مندوحة عن معالجتها أولا فى ضمائر الشعوب .

وما احسب ثمة متسعا للخلاف

على ان فى راس مشكلات المسلم المعاصر ، التى تحول دون استرداده لشخصيته هذه المعوقات الاربع :

١ ــ الاختلاف فى نظام العقيدة
٢ ــ العصبيات المذهبية
٣ ــ الركض وراء المغريات
٤ ــ اسقاط الجهاد من حياة المسلم .

اما موضوع العقيدة فهو نقطة الانطلاق التى على صحتها يتوقف مصير الانسان كله ، ومن هنا كان التركيز على تصحيحها وتوضيحها هو الركن الاساسى فى مهام النبيين، ومن سلك سبيلهم من المصلحين ، وهو القاعدة التى قدمها رسول الله لصناديد قريش،يوم جاؤوا يفاوضون عمه ابا طالب بغية اصلاح ما بينه وبينهم ، فقال لهم : « نعم .. كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم .. تقولون : لا إله الا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه » ..

وكان مفهوم كلمة التوحيد من الوضوح فى أذهان زعماء المشركين يومئذ بحيث لم يجدوا حاجة الى أى جدل فى شأنه ، فرسول الله لا يقبل منهم الا التحرر الكامل من كل عبودية لغير الله ، وهم لا يريدون الانسلاخ من تقاليد الآباء ، ولو كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ، لذلك كان جوابهم : والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون ، فانطلقوا،

انه توجيه الولاء كله لله ، فكما انه هو الرزاق الخلاق وحده ، كذلك هو المتفرد بحق الطاعة والعبادة واسلام النفس ، حتى لا يطاع مخلوق فى معصيته كائنا من كان ، وبالغا ما بلغ من السلطان .

وفى نطاق هذه التربية الربانية من معانى (لا إله الا الله) تكون الجيل الأول من مدرسة النبوة ، ومن هذا المنطلق تحركت طاقاته المتكاملة لتحرير الجزيرة ثم لتحرير العالم كله من ظلمات الجاهليات . وقد مضى اولئك يجاهدون فى سبيل الله على هدى من الله ، وعلى أتم الانسجام مع سنن الكون ، لاتمزقهم صراعات أشكال المتناقضة ، ولا تخدعهم عن الحقيقة التى آمنوا بها بهارج الفلسفات المتضاربة ، فكانوا الدم الجديد فى شرايين الجسم البشرى يرد اليه الحياة بعد أن شارف الموت ، ثم خلف من بعدهم خلف آده ثقل الامانة ، واستهوته الشياطين ، فاذا هو فريسة الضياع الفكرى إلا من رحم الله .. وهكذا تمت مشيئة الله بتفكك هذه الأمة الى عشرات الفرق ، كل حزب بما لديهم فرحون .. وساق ذلك التمزق فتنا ومحنا اغرقت ديار الاسلام فى لجج من الدماء لم تجف حتى الساعة !..

ولنقف من هذه المآسى عند حدود الولاء ، الذى ما برح يفتت طاقات المسلمين ويهدر إمكاناتهم الكثيرة .

إن الولاء الذى كان فى ظل التوحيد الخالص منصرفا الى الله وكتابه وسنة نبيه ، قد بات اليوم موزعا بين مختلف النوازع .. فولاء الشيوخ زعموا لنفسهم حق التشريع ، فبه يفرضون على مريديهم كل

ما يخدر قلوبهم ويضخم زعامتهم ، الى ولاء لطواغيت فرضوا سلطانهم على شعوبهم بقوة الحديد ، فبهذه القوة يسلخونهم من شريعتهم ، ويحكمونهم بما اخترعوا أو اجتلبوا لهم من أنظمة شيطانية ، لا مردود لها سوى التمكين لعوامل الفرقة ، فى شحناء تذهب بريحهم جميعا لمصلحة أولئك المتسلطين وحدهم !! ..

ولعلنا لا نفاجىء القارىء بجديد اذا قلنا : إن كثيرين جدا من المصلين ، الصائمين الحاجين المعتمرين المعتكفين لا يرون اى بأس فى أن يهبوا تأييدهم وتصفيقهم لطواغيت غاشمين ، او متحكمين ملحدين احلوا قومهم دار البوار ! ..

وان غير قليل من هؤلاء المغفلين يعلنون فى غير جمجمة : أن الاسلام شىء والسياسة شىء ، وان من توقيرنا للاسلام ، أن نقصيه عن نطاق السياسة ، كما يقرر صاحب كتاب (الاسلام واصول الحكم) ومن تبعه من المضللين ! ..

وان بين هؤلاء وأولئك لرجالا من ذوى الشهادات العليا جدا يقصدون البيت الحرام والمدينة المنورة ، مدفوعين الى ذلك بحافز الفطرة العطشى الى غير الاشربة المادية ، دون أن يعرفوا اى شىء عن الاسلام ، حتى الصلاة التى هى العهد المميز للمسلم لا يعلمون كيف يؤدونها ، ويستنكفون أن يسألوا من يحسن توجيههم الى صحة ادائها ! ..

وليسمح لى صديق عزيز أن أعلن الآن ما أسر به الى من ان احد هؤلاء قد كاشفه ، وهو بجوار احد ، انه لا يدرى اى خبر عن غزوة أحد ! ..

وهل أنا بحاجة الى التوكيد مرة ثانية أن من غير المبالغة الزعم بأن هؤلاء يؤلفون الكثرة الكاثرة من سواد المسليمن !

واذا صح هذا وهو صحيح ، فأى عجب الا نلمس لعبادات هؤلاء من ثمرة فى نطاق الحياة العامة ، والا تزودهم عبادتهم تلك بأى حافز لمقاومة البغاة ، العادين على اوطانهم ومقدساتهم ! ..

وطبيعى أن مجرد فقدان الجماهير ضوابط الوعى الاسلامى هو الذى يجردهم من كل حصانة ضد التبعيات العمياء على اختلاف اشكالها .. وليس التعصب المذهبى ، الذى يزين لصاحبه ايثار أمر الشيخ على حكم الله ورسوله ، والذى لا يزال يؤرث الشقاق بين اهله،سوى بعض المضاعفات الناتجة عن هذا الداء،وهل هذا التعصب الهدام الا احدى ظواهر الانحراف عن مهيع الاسلام ، الذى يلزم المسلم أن يتجرد من كل ولاء لغير الله ورسوله ؟ ..

ثم نتساءل : ما الذى يسوق المسلم الى الركض وراء سراب الدنيا من المتاع الزائل ، حتى يكاد يحصر كل همه فى حدود الدخل المادى ، ومستوى المعيشة ، والمزيد من العلاوات،واهتبال كل الفرص للضرب فى الارض .. ثم القاء أزمته ومن تحت ولايته الى اكف الشياطين من سفهاء الناس ، يتابعونهم فى كل

حركة وسكنة ، حتى لو دخل احدهم جحر ضب لدخلوه وراءه ! .. اليس ذلك كله دليل تميع الشخصيـــة ، وفراغ القلوب من المقومـــات التـــى تملأ كيان المؤمن يقينا بأنه شاهد الله على الخلق ، والمسئول عن قيـــادة الزائفين الى سبيل الحق ! .. فكيف به يرضى أن يكون الإمعة الذى لا يتماسك عن الاستجابة لكل ناعق ! ..
واذا نحن احطنا بهذه الوقائع،وتبينا ما بينها من الوشائج ، لم نستغرب أن ينتهى المطاف بالمسلم ــ الذى هـــذا شأنه ــ الى اسقاط فكرة الجهاد من حياته كليا ، لان فاقد الشعـــــــور بالمسئولية لا يستطيع الارتفـــــاع بتفكيره الى مستواها .. ومن ثـــم فأى محرض يمكن ان يغريه بالمغامرة فى صراع قد يكلفه راحته ومالـــــه ونفسه ! .

لقد فهم الجيل الاول من الصحابة ومن تبعهم معنى الامر الحاســـم فى قوله تعالى : (**انفروا خفافـــا وثقالا ..**)التوبة /٤١ ..

فلم تشغلهم متعة ولا رغبـــة عن النهوض بواجب الجهاد ، اذ كان كل منهم مثال المؤمن الذى وصف رسول الله مدى استعداده للجهاد بأنـــــه (.. ممسك بعنان فرسه فى سبيـــل الله كلما سمع هيعة ــ استغاثة ــ طار اليها) حتى كان من الصحابـــة الشيخ الفانى يتوقع الاجل بين يوم ويوم ومع ذلك يرى دائبا على تعهـــد الرمى خشية أن ينساه،وحتى كان من التابعين من فقد القدرة على القتال ، ومع ذلك يأبى الا صحبة المجاهدين لخدمتهم وحراسة امتعتهم ، فـــاذا قيل لهذا او ذاك : إن شيخوختـــك قد اعفتك من هذا العبء ، أجـــاب .. ولكن الله لم يعف أحدا حين قا ل: **(انفروا خفافا وثقالا ..)**

من أجل ذلك كان الحث علـــى الجهاد احد العناصر الكبرى فـــى البيان الخلافى الاول ، الذى خاطب الصديق به اخوانه من الرعيل الاول فقال : « لا يدع قوم الجهاد ، فانـــه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل .. »

وعلى هذا السنن جاء خطاب ثالث الراشدين كرم الله وجهه ، الذى كان ابرع نص ادبى يصور جلال الجهـــاد واهميته فى حماية البيضة وصيانة العزة ، وفيه قولته الشـــــهيرة : « اغزوهم قبل أن يغزوكم .. فوالله ما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا »

وهل بقيت ثمة حاجة لتوكيد هذه الحقيقة ، بعد ان لمسنا بكل واقعنا مدى الذلة التى استحوذت علـــى المسلمين منذ مكنا لأحفاد قريظـــة والنضير وقينقاع من نقل المعركة الى قلب ديارنا !!

قلت فى مستهل هذه الانطباعات : ان المشكلة ذات شعب لا مندوحة عن معالجتها فى ضمائر الشعوب ... والحق انى عاجز عن تحديد الشكل الأفضل لهذه المعالجة ، ولا سيما بعد أن اصبحت ازمة التربية بل (الثقافة والارشاد) منوطة بتنظيمات تملـــى معظمها ارادات متسلطين ، لا يرون من مصلحتهم الاهتمام بصيدليـــــة الاسلام !! ..

والأمر لله من قبل ومن بعد ..



« الحلقة الرابعة »
والاخيــرة

للاستاذ عبد القادر طاش التركستاني

● **دور المنافقين في غزوة الأحزاب :**

كان لليهود فى تحزيب الأحــزاب وتأليبهم ضد رسول الله صلى اللــه عليه وسلم دور رئيسى . فلقد قاموا بدعوة القبائل العربية لقتال الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين . وكانوا يريدون من وراء ذلك الانتقام من المسلمين الذين أجلوهم عن المدينة قدموا على قريش فحرضوهم علــى القتال قائلين : انا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم . وجاءوا غطفــان فدعوهم ومنوهم . فخرجت قريش . وخرجت غطفان قاصدتين يثــرب للقضاء على الاســلام ، فلما ســمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ضرب الخندق على المدينة وبعد فراغه من الخندق أقبلت قريش وغطفــان وخرج اليهود حتى أتوا اخوانهم من بنى قريظة ــ وكانوا قد وادعــوا رسول الله صلى الله عليه وســلم وعاهدوه على عدم الحرب ــ ومــا زالوا بهم يمنونهم ويعدونهم حتــى استجابوا لهم فنقضوا عهدهم مــع رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف على المسلمين ، (**واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله**

الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنـــون وزلزلـــوا زلـــزالا شـــديدا) الأحزاب / ١٠ ، ١١ حتى كـــان ليلهم فى الخندق نهارا ولم يقدروا على صلاة ظهر ولا عصر ولا مغرب ولا عشاء .

ووجد المنافقون فى الكرب المزلزل والشدة الآخذة بالخناق فرصة للكشف عن خبايا نفوسهم وهم آمنون من أن يلومهم أحد . وكان عملهم فى هـــذه الغزوة يتلخص فى الأمور التالية : ـــ

١ ـــ الاستهزاء والسخرية من وعد الله والسعى بالفتنة . فقد قالوا : كان محمد يعدنا أن نأكـــل من كنوز كسرى وقيصر واحدنا اليوم لا يأمن نفسه أن يذهب الى الغائط ! (**واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهـــم مرض ما وعدنا الله ورسولـــــه الا غرورا**) الاحزاب ـــ ١٢ .

٢ ـــ الخوف من القتال والجبن عند النزال . وقد صور القرآن الـــكريم ذلك فى صورة مضحكة تثير السخرية بأولئك الجبناء فيقول (**فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت**) الاحزاب ١٩ . وهم من شدة خوفهم وارتعاشهم لا يصدقون أن الاحزاب قـــد ذهبت (**يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسالون عن انبائكم**) الاحزاب ٢٠ يا للسخرية .. إنهم يتمنون أن لو كانوا من أعراب الباديـــــة فـــلا يشاركون أهل المدينة فى حيـــاة ولا مصير ..

٣ ـــ الاستئذان فى عدم القتـــال والرجوع الى المدينة بحجة أن بيوتهم عورة للعدو متروكة بلا حمايـــــة ، والحقيقة غير ذلك (**ويستاذن فـــريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عـــورة وما هى بعورة أن يريدون إلافرارا**) الاحزاب ١٣ .

٤ ـــ وفوق تخلفهم عن القتـــال واعتذارهم عن الجهاد بتلك الاعذار السخيفة فهم يحرضون المؤمنين على ترك الصفوف والعودة الى المدينة بحجة أن بيوتهم معرضة للخطـــــر وراءهـــم . (**واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا**) الاحزاب ١٣ (**قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الى قليلا**) الاحزاب ١٨ .

٥ ـــ وبعد أن ذهب الخوف وجـــاء الامن خرجوا من الجحور وارتفعت أصواتهم بعد الارتعـــــاش وانتفخت أوداجهم بالعظمة وظهروا بعد الانزواء فى غير حياء ما شاء لهم الادعاء مـــن البلاء فى القتال والفضل فى الاعمال والشجاعة والاستبسال قال تعـــالى **فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالســـــنة حداد**) الاحزاب ١٩ .

ولكن رغم هذا الهول والكـــــرب والشدة والضيق فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثابـــــة الامن للمسلمين ومصدر الثقة والرجـــاء

والاطمئنان ومن ثم قال المسلمون **(هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما)** وكان منهم **(رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)** الاحزاب ٢٢ ، ٢٣ وانتهت المعركة بأن **(.. رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا وعزيزا . وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا . واورثكم ارضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شىء قديرا)** الاحزاب ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

● فى غزوة بنى المصطلق : —

جمع سيد بنى المصطلق — وهم من اليهود — لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارسل الرسول اليهم « بريدة به الحصيب » ليعلم علم ذلك فذهب واكتشف حقيقة نوايا يهود ثم اتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره . فخرج المسلمون لقتال بنى المصطلق . وخرج معهم المنافقون فى كثرة لم يخرجوا قط فى مثلها وكان على رأسهم زعيمهم « ابن سلول » وكان للمنافقين فى هذه الغزوة دوران هامان كان لهما اثر كبير وبلبلة شديدة كادت أن تشعل فتنا مستعرة لولا أن عصم الله المسلمين وفضح الاعيب المنافقين الدور الاول : — هو بذر الفتنة والشقاق بين المهاجرين والانصار وتوسيع شقة الخلاف بينهم لسبب تافه فقد اختلف اثنان من المسلمين احدهما من الانصار والآخر من المهاجرين حتى اقتتلا فصرخ الانصارى يا للأنصار . وصرخ المهاجرى : يا للمهاجرين .. فاستغل عبد الله ابن ابى هذه الفرصة ليكيد كيده ويخرج ضغنه وحقده . فقال : أوقد فعلوها . قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا . والله ما عدنا وجلابيب قريش الا كما قال الاول : سمن كلبك يأكلك . اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .. ثم اقبل على قوم فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم . أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم . أما والله لو امسكتم عنهم أيديكم لتحولوا الى غير داركم .. وهنا تظهر القمة السامقة التى رفع الايمان اليها اتباعه فقد أنبرى من بين المسلمين عبد الله بن عبد الله بن أبى مثال المؤمن المتجرد الطائع الذى شقى بأبيه وضاق بافاعيله وخجل من مواقفهفطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم — ان كان يريد قتل أبيه — ان يأمره هو بقتله وهو لا بد مطيع .!! ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الرحيم الرؤوف الحكيم — يقول له : بل نترفق به ونحسن صحبته ما

بقى معنا . وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع الفتنة قبـــل استفحالها فأمر بالرحيل فى ساعـــة لم يكن يرتحل فيها لشدة الحـــر . ولكنه اراد أن يشغل الناس بالرحيل والسفر عن كثرة القيل والقال التى أثارها رأس النفاق .

والدور الثانى : الذى لعبـــوه فى هذه الغزوة هو « حديث الافك » فقد حدث اثناء رجوع المسلمين من غزوة بنى المصطلق أن اذن المؤذن بالرحيل وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها فى الجيش فذهبت بعيدا لقضـــاء حاجتها فلما عادت افتقدت عقدا لهـــا فذهبت تبحث عنه . فلمـــا رجعت وجدت الركب قد سار . وقد ظنـــوا انها فى هودجها . إذ كانت خفيفة المحمل . فحمل الهودج دون تأكد .. فظلت عائشة فى مكانها وذهبت فى النوم فمر بها صفوان بن المعطـــل فعرفها فايقظها واناخ لها ثم سار بها الى المدينة فلما رأى « ابن أبى » ذلك قال : فجر بها ورب الكعبة .. ما نجا منها ولا نجت منه .. وصار يقـــول ايضا : امرأة نبيكم باتت مع رجـــل حتى أصبح . وراح يشيع ذلك فى المدينة ويفشيه ويحركه ولا يدعه يخمد واشترك معهم المنافقون بكل وسائلهم الملتوية حتى بلغ من خبث هذه الفتنة ان ماجت المدينة بالفرية التـــى لا تصدق أبدا . ولاكتها السنة المسلمين واصبحت موضوع حديثهم لشهر كامل ولقد كلف ذلك الحادث وهذا الحديث قلب الرسول صلى الله عليه وسلم آلاماشديدة وكلف الامة المسلمةتجربة شاقة وعلق قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلب عائشة التـــى يحبها وقلب أبى بكر الصديق وزوجه وقلب صفوان بن المعطل شهرا كاملا علقها بحبال الشك والقلق والألم الذى لا يطاق وعندما تصل الآلام الى ذروتها على هذا النحو يتعطف عليه ربـــه فيتنزل القرآن ببراءة عائشة الصديقة الطاهرة وبراءة بيت النبوة الطيب الرفيع ويكشف المنافقين الذين حاكوا هذا الافك ويرسم الطريق المستقيم للجماعة المسلمة فى مواجهة مثل هذا الشأن العظيم .. وهـــكذا لعب المنافقون فى هذه الغزوة هـــذين الدورين الخطرين ، وكان هدفهـــم القضاء على الاسلام بدافع الحقـد والحسد والضغينة ولكن الله ابطل كيدهم وكذب افتراءاتهم (**لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم**) النور ١١ .

● فى غزوة تبـــوك : —

فى رجب سنة ٩ هـ امـــر الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك فى زمان من عسرة الناس وشدة من الحر وجـــدب من البلاد . وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهـــم ويكرهون الشخوص على الحال مـــن الزمان الذى هم عليه وكان الرسول

صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة الا كنى عنها واخبر أنه يريد غير الوجه الذى يصمد له . الا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو ليأخذ الناس اهبتهم فأمر الناس بالجهاز واخبرهم انه يريد الروم وكعادة المنافقين فى كل غزوة فقد كانت لهم فى هذه الغزوة مواقف نجملها فيما يلى : —

١ — الاستئذان فى التخلف وانتحال الاعذار لذلك فقد استأذن بعضهم فى التخلف مخافة الفتنة ببنات الروم وفيهم نزل قوله تعالى « **ومنهم من يقول : ائذن لى ولا تفتنى . ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين** » التوبة ٤٩ — وقد عاتب الله سبحانه رسوله على اذنه لهم (**عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**) التوبة ٤٣ .

٢ — تثبيط الهمم . فانهم كعادتهم لم يكتفوا بالتخلف والقعود بل راحوا يثبطون همم العامة بوسائل متعددة كالاستهزاء والتهكم والسخرية والتخويف (**وقالوا : لا تنفروا فى الحر**) وقد كان بعضهم يقول لبعض أتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا . والله لكأنا بكم غدا مقرنين فى الحبال . وكانوا يستهزئون بالمسلمين ويسخرون منهم حتى قالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ارغب بطونا ولا اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء .. وكانت جماعة منهم يجتمعون فى بيت (سويلم اليهودى) يثبطون الناس عن رسول الله فبعث اليهم صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله فى نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ففعل ثم سار المسلمون بعد أن فشل المنافقون فى دعاياتهم واراجيفهم وهذه الحقيقة تعطينا صورة واضحة لجامعة التآمر فى الظلام التى تجمع بين المنافقين ومن بقى من اليهود فى المدينة وتؤكد الارتباط الوثيق بين الفئتين .

٣ — وعندما يئس البائس « ابن ابى » بعد فشل دعايته جمع الناس حتى احتشد نفر منهم تحت لوائه وظن انه سيستطيع خداعهم وكان غرضه من ذلك أن يجمع قومه ومن فى قلوبهم مرض والمتشككين ثم يرجع بهم الى المدينة وفعلا فقد خطب فيهم ثم رجع بهم ظانا انه قد يؤثر عليهم ذاك فى بلبلة الصف المسلم ولم يدر أن خروج المنافقين مع المسلمين لا يزيدهم الا ضعفا وصدق الله (**لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة**) التوبة ٤٧ .

٤ — الارجاف فى المدينة واستغلال الفرصة لبث الفتنة فقد خلت المدينة من الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذهب معه المسلمون الاشداء فخلا بذلك الجو لهم فعملوا على ملء المدينة بالاراجيف والدعايات الكاذبة حتى

أصبحت المدينة تئن من اذاهم وسفههم ومن ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد خلف على بن ابى طالب على أهله وامره بالاقامة فيهم فما كان من المنافقين الا أن أرجفـــوا بعـــلى وقالوا : ما خلفه الا استثقـــالا له وتخففا منه . فلما سمع رضى الله عنه ذلك أخذ سلاحه ثم خرج حتى أتى الرسول وهو نازل بالجرف وقـــال : يا نبى الله . زعم المنافقون انـــك انما خلفتنى لانك استثقلتنى وتخففت منى فقال : كذبوا ولكن خلفتـــك لما تركت ورائى . فارجع واخلفنى فـــى أهلى واهلك افلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى . الا انه لا نبى بعدى . فقال علـــى : رضيت ثم رضيت . ورجع الى المدينة . وقبل مقدم الجيش الـــى المدينة بعد المعركة أطلق المنافقـــون اشاعة بأن محمدا صلى الله عليـــه وسلم وأصحابه قد جهدوا فى سفرهم وهلكوا .

٥ ـــ التآمر لاغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم : ـــ فقد اتفق جماعة من المنافقين على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم وطرحـــه من العقبة بين تبوك والمدينة وذلـــك عند رجوعه من الغزو . وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تآمروا عليه فأمر الناس بالمسير من الوادى وصعد هو العقبة مع اولئك النفر وقد تلثموا . وأمر صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أن يمشيا معه فبينما هم يسيرون اذ سمعوا بالقوم قـــد غشوهم فغضب رســـول اللـــه صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم وابـــصر حذيفة غضبه فرجع اليهم ومعه محجن فاستقبل وجوه رواحلهم بمحجنه فلما راوا حذيفة ظنوا أن قد ظهر عـــلى ما اضمروه فاسرعوا حتى خالطـــوا الناس واقبل حذيفة حتى ادرك رسول الله فأمرهما ـــ حذيفة وعمـــار ـــ فاسرعا حتى قطعوا العقبة ووقفـــوا ينتظرون الناس ثم قال رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم لحذيفة : هـــل عرفت هؤلاء القوم ؟ قال : ما عرفت الا رواحلهم فى ظلمة الليـــل حين غشيتهم . ثم قال : علمتما ما كـــان من شأن هؤلاء الركب قـــالا : لا فاخبرهما بما كانوا تمالأوا عليـــه ، وسماهم لهما واستكتمهما ذلك فقالا : يا رسول الله افلا تأمرنا بقتلهـــم . فقال : اكره أن يتحـــدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه .

قال ابن كثير فى البداية والنهاية : وقد ذكر ابن اسحق هذه القصة الا انه ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم انما أعلم باسمائهم حذيفة بن اليمان وحده . وهذا هو الأشبه والله أعلم .

٦ ـــ الاعتذار : ولما قدم صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد الغزوة اقبل عليه المخلفون يعتذرون . . وكان منهم **(آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سئيا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفـــور رحيم)** التوبة ١٠٢ . أما المنافقون فقد جـــاءوا يعتذرون بالحمى والاسقام وغير ذلك

من الاعذار وجعلوا يحلفون للنبي (صلى الله عليه وسلم) . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر اصحابه بألا يكلموا احدا ممن تخلف فلما حلفوا له وسمع أعذارهم فكأنه رحمهم فاستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله ويظهر أن طائفة منهم أرادت أن تظهر توبتها وانها مستعدة للخروج فقال الله تعالى لرسوله (**فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل : لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين**) التوبة ٨٣ .

٧ ــ مسجد الضرار : كان أبو عامر الراهب (أحد زعماء المنافقين) قد سافر مع وفد من المنافقين الى ملك الروم يستنصره على الرسول صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه فكتب الى قومه بذلك وأمرهم أن يتخذوا له معقلا منعزلا ليستقبلوا فيه رسله وكتبه وليكون مرصدا لهم اذا قدم عليهم بعد ذلك . فبنوا لهذا الغرض مسجدا بجوار مسجد قباء وصاروا يعقدون فيه اجتماعاتهم . وقد دفعهم حرصهم على التستر والتمويه والخداع أن أرسلوا خمسة منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا : يا رسول الله أنا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية وانا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فتدعو لنا بالبركة . ولكن الرسول اعتذر اليهم بسبب خروجه الى تبوك ووعدهم بالصلاة فيه حين رجوعه . وعندما رجع صلى الله عليه وسلم اتاه فريق المنافقين بدعوته الى الصلاة في مسجدهم فتجهز رسول الله لذلك فنزل قوله تعالى « **والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وأرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون . لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين . أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين . لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم**) التوبة ١٠٧ ــ ١١٠ وعند ذلك دعا صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه وقال لهم : انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وحرقوه . فذهب النفر فحرقوا المسجد وهدموه حتى وصل الهدم الى الارض . وبعد هذه الحادثة بقليل هلك رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول . وكان موته إيذانا باندحار عصبة المنافقين وانكسار شوكتهم بعد أن تبددت آمالهم وانكشفت الاعيبهم وفضحهم الله سبحانه فى تنزيله الكريم .

« والله غالب على أمره »



التسامح الديني والتحرر الفكري في الإسلام

للاستاذ حسن فتح الباب

الشواهد التاريخية على رعاية الذميين :

لقد اغتبط المسلمون بانتصار المسيحية التى يمثلها الروم بزعامة هرقل على المجوسية التى تمثلها الفرس بزعامة كسرى سنة ٦١٤ ميلادية ، ذلك أن المسيحية اهل كتاب كالمسلمين . وقد ظلت خلة الاخاء بين أتباع محمد واتباع عيسى وثيقة فى حياة النبى برغم ما كان بين الفريقين من مجادلة ، على خلاف ما كان بين المسلمين واليهود من تهاون أول الامر ثم عداوة استمرت بخيانة اليهود وانتهت بهزيمتهم ، ومصداق ذلك قوله تعالى :

((**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون**)) (المائدة / ٨٢) .

وبرغم عدم اقرار المسيحية بنبوة محمد كما يقر الاسلام بنبوة عيسى وبرغم عداوة اليهود للاسلام وخياناتهم له ، احسن المسلمون معاملة الجميع وكفلوا لهم حرية العقيدة . وعلى حين قاوم المسيحيون من الرومان دعوة الاسلام وبدأوا يأتمرون به وبأهله ، وشنوا عليهما الحروب التعصبية ، ظل المسلمون على تسامحهم ، فالتزموا فى حربهم موقف الدفاع ، وحين انتصروا لم يكرهوا أعداءهم على الدخول فى الاسلام ، عملا بأحكام القرآن فى رعاية اهل الكتاب وكفالة حقوقهم ، وبوصية الرسول بالمعاهدين والذميين خيرا ، وما جاء بكتابه الى المقوقس عظيم القبط من دعوة الى الدين دون الزام او اكراه ..

والشواهد التاريخية على ذلك فى عهد الرسول وخلفائه لا تقع تحت حصر . فقد أقام المسلمون علاقات ودية حميدة مع المسيحيين من اهل الحبشة ، ولم يفكروا يوما — وهم فى قمة انتصاراتهم — فى التطلع الى فتح

هذه البلاد ، ذلك انها لم تقف فى وجه دعاتهم بل كفلت لهم حرية الراى ، نحق على المسلمين احترام حريتها فى العقيدة .

وقد بلغ من شأن كفالة الحقوق المدنية والاجتماعية والاقتصادية للذميين ما روى عن الخليفة العادل عمر بن الخطاب حين راى شيخا يهوديا يتكفف الناس ، فسأله عن السبب فأجاب : اسأل الجزية والحاجة والناس . فقال عمر : « ما انصفناك ، اكلنا شبيبتك وتركناك عند الشيخوخة » وامر بطرح جزيته ، وان يعال من بيت مال المسلمين هو وعياله .

الجزية نظير المنعة :

من ذلك قول سيف الله خالد بن الوليد فى حديثه عن سياسته فى الاقطار التى رفرف عليها علم الاسلام : « وجعلت لهم ايما شيخ ضعف عن العمل ، او أصابته آفة من الآفات ، او كان غنيا فافتقر ، وصار اهل دينه يتصدقون عليه ـ طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله ما اقام بدار الهجرة ودار الاسلام » . وكذلك ما كتبه هذا القائد الاسلامى العظيم الى (صلوبا بن نسطونا) وقدمه حين أوغل فى الفرات فى شهر صفر من العام الثانى عشر للهجرة : « انى عاهدتكم على الجزية والمنعة ، وما منعنا لكم فلنا الجزية والا فلا » .

كما ورد هذا المبدأ أيضا فى رد الامراء بأمر ابى عبيدة فى حمص ما كانوا أخذوه من الجزية الى أهلها وما اليها حين جلوا عنها ليتجمعوا لقتال الروم وقالوا لأهل البلاد : « انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قداشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك الآن ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط وما كان بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم » . وكذلك فعل ابو عبيده فى دمشق حين كان يتجهز لليرموك . وكتب مويد بن مقرن قائد عمر لزريان وأهل دهستان وسائر اهل جرجان فى العام الثامن عشر للهجرة : « ان لكم الذمة وعلينا المنعة ، على أن عليكم من الجزاء فى كل سنة على قدر طاقتكم على كل حال ، ومن استعنا به منكم فله جزاؤه اى جزيته » . وكتب عقبة بن فرقد عامل عمر لأهل ازربيجان : « .. ومن حشر منهم فى سنة (اى جند) وضع عنه جزاء تلك السنة » .وورد مثل ذلك فى عهد سراقة عامل عمر لشهر براز : « .. أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب او لم ينب رآه لوالى صلاحا ، على أن يوضع الجزاء عمن اجاب الى ذلك .. فان حشروا وضع ذلك عنهم » . وصالح الجراجمة قرب أنطاكية المسلمين « على ان يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومصالح فى جبل اللكام والا يؤخذوا بالجزية » .

وقد اطرد انتشار حرية العقيدة بانتشار الاسلام عبر العصور اللاحقة فى السلم والحرب معا ، وسايرتها المساواة بين المسلمين وغيرهم

من اصحاب الديانات . وحفظ لنا التاريخ وثائق كثيرة تدل على تمسك حكام الاسلام وقواده بهذا المبدأ الانساني العظيم ، وبلغ من ذلك ان جحافل التتار حين غزت البلاد الاسلامية واسرت كثيرا من المسلمين والنصارى ثم هزمها المسلمون في الشام . واسلم ملوكها ، طالب شيخ الاسلام ابن تيمية امام العلماء في عصره أمير التتار (ملطوشاه) باطلاق سراح الأسرى فسمح له بالمسلمين وأبى عليه اهل الذمة ، فقال له ابن تيمية : لا بد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا ولا ندع اسيرا من أهل الملة ولا من اهل الذمة ، فأطلقهم .

وبفضل حرية العقيدة التي كفلها الاسلام كسب انصـــــارا له في كل مكان ، وكانت هذه الحرية من اهم العوامل التي اسهمت في انتصاره في جميع المعارك التي خاضها .

فقد كانت فتوح الاســـلام في اقرار الحق والحرية والعدالة تســـبق انباء معاركه ، ومن ثم لم يجد أعداؤه استجابة وغيرة من شعوبهم ، بل لقد مهد بعض هذه الشعوب لدخول المسلمين ديارهم لتخليصهم من طغيـــــان حكامهم ورجال دينهم ، واستطاعت الدولة الاسلامية الناشئة في خلال فترة وجيزة من الزمن أن تقهر اقوى سلطتين سياسيتين معاصرتين لها وهمـــا دولتا الفرس والروم ، وان تبسط سلطانها فيما بعد على معظم ارجــــاء العالم الذي كان قائما في ذلك الحين .

وبفضل هذه الحرية الدينية لم يعرف الاسلام ، عبر تاريخه الطويل ، الحروب الدينية التي وصمت جبين العالم وعوقته عن تطوره حينا من الزمن .

وقد عصم الاسلام من هذه البربرية عقيدته السمحة التي تجعل الدين لله وتحرم الوساطة بينه وبين الفرد ، فلا سلطان لرجال الدين على سائر الرعية ولا وصاية لهم عليهم : **((ان عبادي ليس لك عليهم سلطان))** الحجر/٤٢ .. فلا امام سوى الفعل المتحرر بنور من الحق الذي بعث الله به انبيــاءه هداة ومرشدين ، ولا رهبانية ولا كهانة في الاسلام ، ولا صكوك غفران ، وانما صلة المرء بربه صلة خالصة تنبع من أعماق روحه بلا شريك ولا وسيط ، ومرد الامر كله الى الله :

((بل لله الأمر جميعا)) (الرعد /٣١) .

هو الذي يجزي المرء بما كسبت يداه ، والطاعة له سبحانه ولرسوله ولأولي الامر ما عملوا بأحكام الشريعة التي نزلت لصالح البشرية ، والدين عبادة لا وظيفة فلا عروش فيه ولا تيجان وانما نظام يقوم على العـــــدل والمساواة ..

والمشتغلون بشئون الدين في الاسلام لهم ما لغيرهم من حقوق وعليهم مثل ما عليهم من التزامات ، ولا فضل لمخلوق على آخر الا بالتقوى ، بل ان الاسلام لن يفرق بين أهله فئة باسم رجال الدين ، وانما عرف العلمــــاء ،

والمفكرين والمصلحين والقادة ، لانه لا طبقية فيه ولا امتيازات ، فالكل فى ظله سواسية وميزان التفضيل هو العمل الصالح .

على ان الاسلام يحبذ الاشتغال بأمور الدين علما وتفقها لا صناعة وارتزاقات فالتفقه فى الدين ليس حكرا على احد ولا وقفا على جماعة بعينها . فالاسلام عقيدة وتفكير ، والعقيدة مناطها القلب ، والتفكير مناطه العقل ، ولا قوامة لبشر على قلوب الآخرين وعقولهم .

وقد كان علماء الدين فى الاسلام من اهل الصنائع والحرف ، فلم يتخذوا علمهم مصدرا للتكسب والاحتراف أو ينصبوا من انفسهم ولاة على الشعب . فاذا اسندت الدولة اليهم مناصب معينة تتفق ومؤهلاتهم الخلقية العلمية ، فان ما يتقاضوه من أجور عن هذه الوظائف العامة هو نظير لما يؤدونه للدولة من اعمال مثل الفتوى والقضاء والحسبة ، شأنهم فى ذلك كسائر المسلمين العاملين .

وكان المسجد فى الاسلام غير المعبد فى الاديان او المعتقدات الاخرى اذ ارتبطت به العبادة وتفانى فيه العابدون ، فلا قيام للدين والتدين فى غير هيكله ولا غنى لهما عنه . وجاء الاسلام ليحرر النـاس من هذا الجمود ، فالانسان — لا المكان — هو وحدة الدين ، والله يعبد فى المسجد ويعبد فى كل مكان ، فأينما تولوا فثم وجه الله ، والناس فى حق العبادة متساوون ولا يتوقف قبول شعائرهم على كهنة او كهانة ، بل ان المسجد هو منارة اشعاع للفكر والثقافة فى شئون الدين والدنيا جميعا . .

ومن خلال هذه الفطرة المتكاملة فى شريعة الحرية والاحرار نجت الامة الاسلامية مما ابتلت به الامم القديمة من تحكم الكهان واحتكارهم ارزاق العامة باسم الدين ، فقد استغلوا تهاويلهم ومسوحهم وطقوسهم للتضليل وخلعوا على انفسهم صبغة القادة المتحدثين باسم الله والذين رفعت عنهم التكاليف ، واتبعتهم الرعية فى ضلالهم .

الاضطهاد الدينى فى اوروبا خلال العصر الوسيط :

وعلى النقيض من هذه الحرية الدينية التى كفلها الاســلام ، كانت أوروبا فى العصور الوسطى ، فقد شن حكامها وكهانها حروبا دموية ضارية انغمست فيها شعوبهم طوال عدة قرون ، واستبيحت فيها باسم الدين ، والدين منها براء ، جميع المقدسات الانسانية من حياة وحرية وكرامة وعدل . وعلى حين سجل المسلمون فى الحروب الصليبية من صفحات التسـامح والمروءة والتمسك بآداب الفروسية الاسلامية النبيلة فى معاملة الخصوم ما شهد به حتى غلاة اعدائهم ، ارتكب الصليبيون من المذابح ما سود صحائف التاريخ . وكانت تلك الحملات الوحشية التى شـنتها أوروبا على الديـار الاسلامية حروبا عدوانية استعمارية شعارها الجور والاكراه فى الدين ، فلم يكن للمسلمين مناص من التصدى لها بالقوة دفاعا عن النفس وذودا عن حرية العقيدة .

ومن الامثلة الصارخة على انكار حرية الانسان فى عقيدته ما فعلته اوروبا المسيحية بالاندلس بعد اندحار الحكم الاسلامى فيها ، فقد بلغ بها التعصب ضد الاسلام واهله ما لم تشهد له الانسانية مثيلا فى اشد العصور ظلاما وهمجية ، فلم يقف فى سبيلها وازع من ضمير او رادع مما اصطلح عليه البشر حتى فى جاهليتهم من معانى الوفاء بالعهود والمواثيق ، ولا يكاد المرء يصدق ما اثبته التاريخ من اعمال الكاثوليك السيف فى رقاب قرابة ثلاثة ملايين من المسلمين تنكيلا وانتقاما ، ولم يبق من المسلمين على قيد الحياة الا من قدرت له النجاة بالعودة الى افريقية ، ومن اذهله الهول والفزع فارتد عن دينه الى دين المعذبين .

على أن أمر التعصب الدينى ومصادرة حرية العقيدة لم يكن وقفا على الحروب الصليبية والاسبانية ضد الاسلام ، بل شمل اوروبا المسيحية نفسها فى العصر الوسيط ، فلم تفرق محاكم التفتيش فى عقوباتها الوحشية بين المسلمين فى الاندلس العربية وبين المسيحيين الذين يدينون بالمذهب الكاثوليكى فى اسبانيا وسائر الممالك البروستنتية فى اوروبا ، وكم طارد الاباطرة من اختلف معهم فى المذهب وساقوهم الى المجازر بلا شفقة ، مما يذكر بمطاردة الوثنية للمسيحية فى عهدها الاول فى الدولة الرومانية ، ثم انتشار المسيحية فى أنحاء تلك الامبراطورية ومطاردة الامبراطور الذى اعتنقها للوثنية فى المملكة وخارجها ، ولقد استمرت الاضطهادات الدينية فى اوروبا منذ القرن الرابع عشر حتى القرن السادس عشر ، ومذبحة (سانت بارتلمى) هى ابلغ دليل على ذلك .

ولم تكد أوروبا تتنفس الصعداء من هذه الفوضى التى خاضتها فى لجج من دماء ، وما أهل القرن السابع عشر ، حتى عادت المنازعات المذهبية من جديد ، فقام صراع دموى رهيب بين الملوك والبروتستنت والملوك الكاثوليك بالمانيا استمر ثلاثين عاما فجلب الوبال على الشعوب وانهك مواردها واصابها بالانحلال والفاقة .

ولا شك أن مصدر تلك الصراعات الدينية التى عمت اوروبا فى عهود الاقطاع هو طبيعة النظام الدينى فى تلك العهود ، فقد كانت الكنيسة هى القوامة على شئون الدين وجعل رجالها من انفسهم اوصياء على الناس يرسمون لهم اقدارهم ومصائرهم على هواهم . ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل جاوزت الكنيسة سلطتها الدينية الى السلطة الزمنية فنازعتها اصحابها ، وقامت زعامة دينية مقدسة فى روما تحل محل سلطة القيصر الزمنية ، وتركزت السلطة الروحية فى شخص البابا الذى لا يخطىء ، وسرعان ما دانت لسلطانه الدينى الشعوب المجاورة وامتد نفوذه الى بيزنطة بعد ضعفها ثم زوالها ، وكان رجاله ينتهزون خوف الناس من العقاب ورغبتهم فى ثواب الآخرة ليؤكدوا سلطان الكنيسة الزمنى ، فكانوا يفرضون ضريبة

العشور لصالحها ويقررون العقوبة على المخالف لتعاليمها لا فارق فى ذلك بين الامير ورعيته ، ويحرمون من عطف الكنيسة من لا يرون فى تصرفاته ما يتفق مع سياستهم ، كما يمنحون البركة ورسائل الصفح والغفران التى يتوجه بها صاحبها دون مناقشة أو حساب الى جنات الخلد الغنــــاء الفيحاء .. !!

وهكذا تأصل سلطان البابا وخضع له الامراء ومن خلفهم من الملوك والعواهل بلا قيد ولا شرط ، وسار العالم المسيحى فى طريق ممهد هو ارضاء الرب من طريق طاعة البابا روحيا وحكم الامبراطور زمنيا ودنيويا ، هذا الامبراطور الذى يستمد شرعية سلطته من الكنيسة يحكم باسمها ونيابة عنها ، وما لبث هذا التعاون أن انهار تحت معاول الانقسام والشحناء بين البابا والامبراطور أو بين القوتين الروحيــــة والزمنية وظل الصراع على السلطة بينهما طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، فضاعفت سلطة الامبراطور وفقد رجال الدين قوتهم المعنوية ودب بينهم الفساد وســـادت الاطماع الدنيوية ثم عمت المجازر الدينية ، فولى الاسلام شطر المسيحية .

التسامح الدينى فى العالم الاسلامى :

وغنى عن الذكر أن نبين ملامح الصورة المقابلة للدولة الاسلامية فى تلك العصور ، وأبرز تلك الملامح والسـمات المشرقة روح الاخاء والمودة والتكافل بين المسلمين بعضهم وبعض ، على اختلاف اصولهم والوانهـــم وأوطانهم ، وروح التسامح والالفة بينهم وبين أبناء العقائد والديانات الاخرى، فلا تعصب ولا عنصرية ، ولا تمايز ولا احقاد بل الكل فى حق الحياة والحرية سواء تحت ظلال الشريعة السمحاء .

ويرجع الفضل فيما ساد العالم الاسلامى من وفاق استمر أحقـابا طوالا الى حرية العقيدة التى دعا اليها الاسلام ، وجعلها احدى القيم الكبرى التى أرساها احتراما لانسانية البشر ، ورفعا من اقدارهم وحماية لهم من الهوان ، ودفعا لهم الى المضى فى سبيل التقدم وعمران الكون .

ولم تكن هذه الحرية مبدأ نظريا فحسب بل كانت تطبيقا عمليا فى عهد رسول الحرية وخلفائه من بعده اهتدى به المسلمون عبر العصور المختلفة وسلمت أجيالهم المتتابعة بعضها لبعض هذا المبدأ العظيم امانة مقدســـة لا سبيل الى انتهاكها لأنها من وحى الله ، ورثيقة حاسمة لا سبيل الى نقضها لانها من صميم الرسالة الخالدة .

وكانت آيات الكتاب الكريم وتعاليم الرسول ووصايا الخلفاء الى ولاتهم فى خطبهم ورسائلهم هى الضــمانات الكفيلة لتحقيق مبدأ حرية العقيدة لمـا لأحكامها من قدسية فى قلوب المسلمين وقوة اقتناع فى عقولهم .

على أن هذه الحرية شأنها شأن سائر الحريات الاسلامية مشروطة بقيد لا مفر من الالتزام به ، وحد لا ينبغى تخطيه ، ذلك لانه لا يوجد حق مطلق

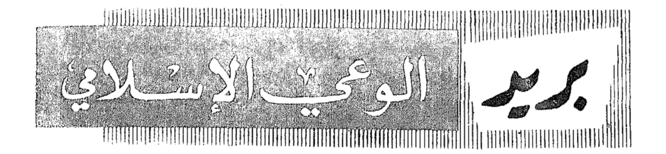
ولا حرية بغير حدود ، وانما تكافؤ بين الحقوق والواجبات ، والقيد الذي يرد على الحرية الدينية هو ذاته الوارد على غيرها بموجب أحكام الشريعة الاسلامية ، ونعني به ، احترام حقوق الآخرين وحرياتهم وعدم الخروج على نظام الدولة الاسلامية وعقيدتها ، فالاسلام يضرب على يد العابثين بكيانه ، والمستغلين ما خلع عليهم من حريات لتحقيق أطماع ذاتية وانتهاج سلوك يمس سلامة المجتمع وآدابه العامة .

الحضارة الانسانية ثمرة التسامح الاسلامي :

وقد تمخضت الحرية الدينية التي آمن بها العرب و . .وها عن حركة تفتح وتحرر كبرى ، اذا كانت حرية الفكر ديدنهم في معاملاتهم مع غيرهم ، فلا يتميز بين البشر بسبب العنصر أو الملة أو اللون ، وانما عدالة ومساواة تظل الجميع في اطار الشرعية الاسلامية ، ولا مراء في أن علماء أوروبا في العصر الوسيط قد تعلموا حرية الفكر عن المسلمين . فكانت التربة الصالحة لنماء بذور الحضارة الغربية ، ولولاها لما استطاعوا أن ينتزعوا راية العلم من رجال الكنيسة المتعصبين المستبدين ويطهروا عقولهم من رواسب المعتقدات الخرافية القديمة ، ويؤمنوا بالعلم وقدرتهم على التحكم في مصائرهم . كما تعلموا دقة البحث العلمي فتمكنوا من تحقيق كشوفهم العلمية . وقد اعترف المنصفون من المؤرخين الاوروبيين الذين يتحرون الموضوعية في كتاباتهم وينأون عن التعصب بما كان عليه المسلمون من تسامح ديني وما اعتنقوه من تحرر فكري وما نعم به المسيحيون في اسبانيا من حرية . وفي ذلك يقول العلامة الاجتماعي جوستاف لوبون : « ان العرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » .

وقد كان من أثر التسامح الديني والتحرر الفكري في ظل الدولة الاسلامية في شبه جزيرة أيبريا (أسبانيا والبرتغال) أن ذابت الفوارق بين العرب والاوروبيين ، وامتزج القيصران واندمجا بالتزاوج أو علاقات الجوار، مما أحدث أثره في طبيعة الحضارة الاندلسية بحيث كانت أشبه ببوتقة انصهرت فيها عقليات شتى وثمرات ثقافات متباينة . وكان أهم مظاهر هذا الامتزاج والتزاوج اصطباغ اسبانيا بالصبغة العربية وهو ما يطلق بتعريب اسبانيا ، اذ أقبل العرب الفاتحون — أمراء وجنودا — على الزواج من الاسبانيات وأسلم كثير من الاسبانيين بعد أن لمسوا جو العقيدة الاسلامية ، وأصبح المستعربون شغوفين بالتراث العربي من شعر ونثر مما ظهر أثره فيما بعد في الشعراء الدوبار . وقام هؤلاء المستعربون بنقل الحضارة العربية الى اسبانيا المسيحية .

وهكذا انقلب العرب الفاتحون على الاسبانيين ، لا بحد السيف وحده ، بل بروحهم ودينهم ولغتهم ، وكانت تزخر بالعلوم والمعارف التي افتقرت اليها اللغة اللاتينية .



اعداد : عبد الحميد رياض

ام المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها

وردنا من الأخ نجيب صديق عمر رسالة حول ما جاء فى مقال (النبي فى حياته الزوجيـــة) فقد ذكر اسم السيدة أم سلمة بنت ابى أمية المخزومى على انها السيدة أم سلمة بنت عبد الأسد ، وليس صحيحا هذا ، ولعل الكاتب قد خلط بين اسم أبى زوجها السابق واسم أبيها .

وقد نشرت المجلة فى العدد ١١٣ ص ١١٤ عن السيدة أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها نبذة وافية عن حياتها وهجرتها واستشهاد زوجها وخطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لها ، يمكن الرجوع اليها .

••• ••• •••

النهى عن المنكـــر

كثر فى هذه الأيام ظهور المنكرات علنا فى الطرقات فهل يستطيع الانسان أن يكون له دور فى القضـــاء عليها أو محاولة شرح مضارها مستمدا ذلك من تعاليم الاسلام ، وهل الأمة تتحمل شيئا فى هذا المجال .

محمد السعيد محمد على ـــ دمشق

أولا ـــ واجب الأمة كلها أن تنهى عن المنكر ، وتأمر بالمعروف ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، يقول الله تعالى : **(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)** . (١٠٤ آل عمـــران) . ويقـــول سبحانه : **(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر)** . (٧١ : التوبة) .

وقد بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه كيف يكون النهى عن المنكر وما هى وسائله التى تتناسب مع حجمه ، فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه

قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك هو أضعف الايمان) (رواه مسلم والترمذي) .

توجيه نبوي كريم الى ما هو أحق ان يتبع وما هو أحق أن يكون عليه الناس من الشجاعة في مواجهة الحق .

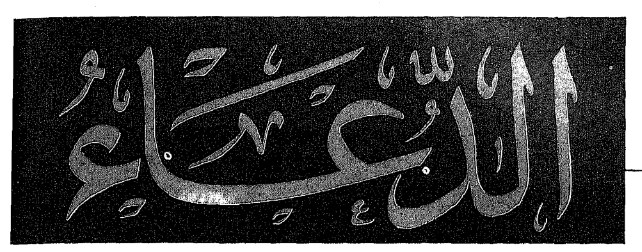
وهذه مسئولية الفرد تجاه الفرد وكذلك مسئولية الأمة كلها وواجبها في اخراج جيل بعيد عن المنكر يترفع عن الدنايا ، ملتزم بتعاليم دينه متمسك بنهج نبيه ، سائر على هدى قرآنه ، وسنة الرسول الكريم ، فذلك من الزم الأمور التي يجب أن تعمل لها الأمة جاهدة فتهيىء جوا اسلاميا يعيش فيه الجيل الصاعد ولا تعوقه الخطايا .

ومن الأشياء الهامة في تنشئة جيل مسلم ان تعمل الأمة على إظهار بشاعة الإثم والمعصية ، وتبين موقف الاسلام من الخلاعة والمجون والاستهتار بالقيم والمبادىء ، وتنكب الطريق السوى ، وأن تظهر الصورة البغيضة للمدنية الفاجرة التي تتمثل في الرقص المختلط وغير المختلط وإدمان الخمور وأن تضرب على أيدي العابثين بقيم الدين الحنيف الذين يأتون ذلك على مرأى ومسمع ، وفي كل مكان لا يردعهم قانون ولا تردهم أخلاق .

كما انه من الواجب أن يأخذ المرء نفسه بالأخلاق الفاضلة ، فلا يكون ناهيا عن المنكر مرتكبا له ، لأن ذلك ادعى الى طاعته والاستفادة من نصيحته .

وانه لمن الخطأ أن يفهم الانسان من قول الله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)** انه ما دام قد انتهى عن فعل المنكر فلن يضره ضلال غيره ، والواقع أن هذا الفهم خاطىء يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية **(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)** واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده) (رواه أبو داود والترمذي) لأنه اذا ترك العنان لمرتكبي المنكر دون رادع ، تلوث المجتمع كله ، وسرت فيه عدوى الفاحشة ، وعمه أذاها ، وتطاول أهل الباطل على أهل الحق ، وعبثوا بالحياة وكسوها بظلام فسقهم .

ولا بد لأهل الحق من وقفة في وجه هذا التيار الماجن حتى يردوه ويوقفوا زحفه المدمر في مجتمع الاسلام . عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انه تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل) رواه مسلم .



الأستاذ : صالح أحمد الراشد

ضراعة المؤمن لربه أمر من أوجب أمور الإيمـــان لما فيــه من ادامة الصلة به سبحانه وتعالى ولما يحمل من معانى الانابة والاخبات لجـــلال وجهه الكريم ، ولئن اعتبر الفقهاء أن الوضوء سلاح المؤمن لانه طهارة من الاحـــداث وتزكية القلب ونظافة البدن ولئن ذهب المحدثون الى أن الاسناد سلاح المـــؤمن عصمة من الوقوع فيما لا يحمد وخشية مخالفة أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم لئن كان ذلك عند أهل الفقه والحديث فان داعية القول فى مجال الصلـــة بالله تبارك وتعالى يمكن أن تفصح عن أن الدعاء سلاح المؤمن . والحق ان كانت الشجرة لا تنمو الا فى تربة طيبة وأن تسقى بالماء فان الايمان شجرة يعد الدعاء من اساسيات غراسها ونمائها لانه (هو العبادة) كما قال رسولنا الـــكريم صلى الله عليه وسلم ولما يحتله من مكانة فى رسوخ الايمان وبين مباحث الاســـلام فان طرق كل ناحية من نواحيه تتطلب تفصيلا وبيانا يجعلنا فى مجال بحث له لا صياغة موضوع ، لذلك حفاظا على الافادة من تكامل جوانبه والالمام به بصورة شاملة فاننا نطرحه فى بينات من القول تكشف عما يزخر به من معان عظيمـــة غارســة ــ باذن الله ــ لجانب الصلة برب العباد جل وعلا فذلك الغاية والمبتغى .

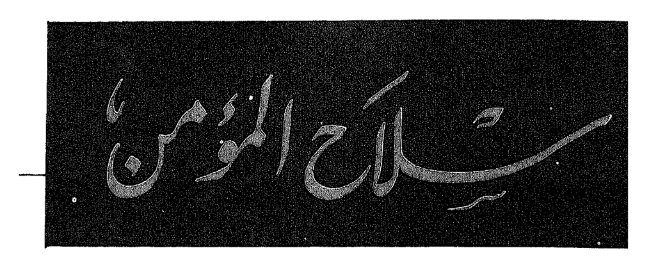
فضل الدعاء : للدعاء فضل كبير فى استقامة المسلم على منهج ربه بحيث يكون دائم الصلة بالخالق العظيم وبفاطر السموات والارض وقد جاءت الآيات أما بصراحة بما فيه من فضل أو ما يستنتج منها ، كذلك كثرت الأحاديث الدالة على كبير الأجر والثواب ، أما الآيات فهاك بعضا منها :

قال الله تعالى : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » البقرة آية ١٨٦ .

وقال « وقال ربكم أدعونى استجب لكم » سورة غافر آية ٦٠ .

وقال « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء » سورة النمل آية ٦٢ .

وهذه أمثلة من آيات فضل الدعاء فيها استجابته سبحانه لعباده المؤمنين وأن الدعاء سبيل الهداية والرشاد وأن الدعاء طمأنينة وأمن للخائف والمضطر ، وهناك آيات أخرى كثيرة تبشر الداعين والمستغفرين ربهم بجنات النعيم ورضوانه



ومغفرته الواسعة ورحمته الشاملة لانهم علموا بأن لهم ربا يغفر الذنب فأنابوا اليه مخلصين . أما الأحاديث ففيها أدعية من جوامع الكلم مبينة لواسع فضل الله العظيم وثواب المنعم الجليل الذى لا ينفد له عطاء فمن ذلك الحديث عن طارق بن أشيم رضى الله عنه قال كان الرجل اذا أسلم علمه النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة ثم أمره أن يدعو بهذه الكلمات : اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى » رواه مسلم وفى رواية طارق الأخرى « فان هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك » .

ونلحظ رضوان الله سبحانه فى أدعية كثيرة للمصطفى صلى الله عليه وسلم كان يقولها أثناء الليل والنهار منها عن عبد الله بن غنام البياضى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر : فقد أدى شكر يومه ، ومن قال ذلك حين يمسى : فقد ادى شكر ليلته » رواه أبو داود ، وعن ابن عباس : « من قال اللهم انى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر فأتم علىّ نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة ، ثلاث مرات إذا أصبح واذا أمسى : كان حقا على الله عز وجل أن يتم عليه نعمته » رواه ابن السنى . وعن أبى سلام خادم النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعا أن قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قال إذا أصبح وا أمسى : رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا كان حقا على ا[illegible] أن يرضيه » رواه داود ، وهكذا نجد أن هناك أدعية فى الاستعاذة بالله سبحانه من كل ضار ومؤذ حشرة أو حيوان أو انسان أو غير ذلك تقال صباحا ومساء منها : « بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم » إذ ما قالها لم يضره شىء ، ومنها : « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » ومن عظيم الدعاء ما رواه البخارى بعنوان سيد الاستغفار وهو عن شداد بن أوس رضى الله عليه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار : اللهم انت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك

من شر ما صنعت ، ابوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب إلا انت ، من قالها موقنا بها حين يمسى فمات من ليلته دخل الجنة ، ومن قالها موقنا بها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة » ولا تقف فضائل الدعاء عند حد ففي كل شأن من شؤون المسلم ذكر ودعاء واستعانة برب العباد لانه سبحانه القادر على كل شيء ولانه تصير اليه الامور .

كيفية الدعاء واوقاته : ان صلة الرسول صلى الله عليه وسلم بربه سبحانه تبين لنا اوضاعه عليه الصلاة والسلام حال الضراعة والانابة وقد جاء عن الصحابة رضي الله عنهم حقيقة الكيفية في الدعاء لما راوا عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم فعن ابن عباس رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نظر كتاب اخيه بغير أذنه فانما ينظر في النار ، سلوا الله ببطن اكفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم » اخرجه أبو داود ونرى ان هذا الحال العام في الدعاء فقوله صلى الله عليه وسلم (سلوا الله ببطن أكفكم) ليس فيه تحديد وقت معين أو حالة معينة وإنما تلك الطريقة في كل وضع وصورة . الا انه قد جاءت كيفيات أخرى فيها رفع اليدين اضافة الى مسح الجسد فعن عائشة رضي الله عنها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ونفخ فيهما فقرأ فيهما : « قل هو الله أحد » و « قل أعوذ برب الفلق » و « قل أعوذ برب الناس » ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على راسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات رواه البخاري . كذلك من كيفية القيام بالدعاء ما جاء من دعائه عليه الصلاة والسلام حال معركة بدر الكبرى رافعا يديه ملحا بالدعاء حتى ان بردته تكاد تسقط وتأخذ ابو بكر رضي الله عنه الخشية عليه من ان يصاب بشيء من الجهد والتعب . الا أن هذه الكيفيات في عمومها مجمعة على رفع اليدين كبيان لحال التأدب والخشوع والانابة لله رب العالمين ولاظهار حقيقة التوسل الصادق فالطلب يكون بمد اليد وغاية الطلب يكون بهذه الصورة التي نزداد بها اطمئنانا ما دامت قد جاءت عن معلمنا وسيدنا الرسول عليه الصلاة والسلام اما ما زاد على رفع اليدين او المبالغة في رفعهما أو مسح الوجه وغيرها من تفصيلات فلعلها تدل في مباحث الفقه من حيث الاحكام في الاستحباب وتدخل في مباحث الحديث من حيث صحة الاحاديث التي حملت زيادة تلك المعاني وايا ما كان علينا أن نقف وندرك حقيقة التوسل المجمع عليه شرعا من كمال التضرع برفع اليدين وتطبيق الآداب المشروعة في صلة مع العلي الكبير .

ومن حيث أوقات الدعاء فانه صلة دائمة بالرب جل وعلا الا أن هناك أوقاتا تكون أدعى للاجابة حيث يظهر فيها قرب رحمة الله وجلاله أو لما لهذه الاوقات من أهمية يجب أن يحرص عليها المسلم ومن الاوقات التي ترجى فيها الاجابة :

١ ــ الدعاء عند النداء ــ عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يسمع النداء (أي الاذان) اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة رواه البخاري في صحيحه .

٢ — بين الآذان والاقامة — عن انس (رضى الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة . قيل ماذا نقول يا رسول الله ؟ قال سلوا الله العافية . فى الدنيا والآخرة » ابو داود .

٣ — فى السجود — عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » رواه مسلم .

٤ — جوف الليل وبعد الصلوات — عن أبى امامة رضى الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى الدعاء أسمع ؟ قال « جوف الليل الاخير ودبر الصلوات المكتوبات » رواه الترمذى وعن ابى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ربنا الى سماء الدنيــا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له ومن يسألنى فأعطيــه ومن يستغفرنى فأغفر له » رواه البخارى وغيره .

٥ — وقد جاءت أحاديث صحاح فى الدعوة عند المرض والكرب والحرب ونزول المطر واستجابة دعوة المظلوم والساعة التى فى يوم الجمعة حيث لا يوافقها عبد مسلم ويدعو فيها الا غفر له واستجيب دعاؤه .

ونلحظ فى هذه الاوقات تنوعها واختلاف ظروفها مما يدل ان المسلم عليه أن يكون حريصا فى صلته بربه دوما صباحا ومساء وما بينهما من أوقات .

آداب ومقتضيات الدعاء : ان التأدب فى اخذ الامور والتعامل معهــا شأن أهل الاستقامة والسلوك الصحيح ، والمسلم الحق مطبوع بطابع الرزانة والوقار فى أعماله وهو هنا — لا شك — اكثر وعيا والتزاما بأداب سؤال ربه والتوسل اليه جل وعلا ، ومن الاداب التى جاءت فى السنة المطهرة ما نذكر من احاديث :

١ — رفع اليدين حال الدعاء وهذا قد مر فى السطور السابقة فيما ذكرناه عن ابن عباس وهو كثير فى كتب السنن والصحاح انظر مثلا فى الجامع الصحيح للبخارى باب رفع اليدين فى الخطبة وباب الاستسقاء فى الخطبة يوم الجمعة .

٢ — حضور القلب وتيقن الاجابة فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » الترمذى .

٣ — استفتاح الدعاء بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله وأن تتخلله الصلاة والسلام على رسول الله ويختم بها كذلك فعن فضالة بن أبى عبيد (رضى الله عنه) قال سمع رسول الله رجلا يدعو فى صلاته ولم يصل على النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال : عجل هذا ثم دعاه فقال : « اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء) أخرجه أصحاب السنن .

٤ — ان يختم الدعاء بآمين فعن أبى زهير النميرى رضى الله عنه قــال خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأتينا على رجل قد ألح فــى المسألة فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه فقال : « أوجب إن

ختم » . فقيل بأى شىء يختم يا رسول الله ؟. قال « بآمين » . وانصرف فقيل للرجل يا فلان . قل آمين ، وابشر » أبو داود .

٥ ــ الهدوء وعدم رفع الصوت بالدعاء فعن ابى موسى رضى الله عنه قال كنا فى سفر فجعل الناس يجأرون بالتكبير . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أيها الناس أرفقوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم ، والذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته » الخمسة الا النسائى .

٦ ــ أن يختار جوامع الكلم أى الدعوات الجامعات للخير فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك » رواه ابو داود .

٧ ــ التكرير ثلاثا فى الدعاء والاستغفار فعن أبى مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا .

تلك بعض الآداب التى يجدر بالمسلم أن يلتزمها فيحقق المعنى الوافى للدعاء ويطمئن الى الاثار التى تجلب نتيجة الخشوع والانابة لربه سبحانه ، الا أنه اضافة الى ما يتأدب به المسلم فى صلته الكبيرة برب العباد هناك مقتضيات تزيد فى معنى الأوبة والتوسل وسؤال الرب المنعم تبارك وتعالى وتشمل صفاء الاسلام ونوره الوضاء بين المسلمين بالذات المتحابين منهم فى طاعته جل وعلا ومن هذه المقتضيات : دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب فعن أبى الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل » رواه مسلم .

ومنها أن يدعو لمن صنع اليه معروفا فعن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صنع اليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيرا فقد ابلغ فى الثناء » الترمذى . وفيها ــ وهو أمر مهم جدا ــ أن لا يتعجل الاجابة فهو قد أوكل أمره الى الله سبحانه ونفذ ما أمر به البارىء جل وعلا فى قوله : « ادعونى أستجب لكم » فان لم تكن الاجابة عاجلا أو آجلا فقد ذخر أجره عند ربه الذى لا تضيع عنده سبحانه الودائع لأنه رحيم سميع مجيب الدعاء ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل : يقول قد دعوت ربى فلم يستجب لى » متفق عليه وسلم الاستعجال « قيل يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال : « يقول : قد دعوت فم أر يستجيب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء » . اللهم انا نعوذ بك من ترك الدعاء . ومنها أن لا يدعو باثم أو قطيعة رحم لأن الدعاء لا يكون الا فى الخير ولأن قطع الارحام مما يخالف تعاليم الاسلام وفى ذلك عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما على الارض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة

الا اتاه الله اياها أو صرف من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحـــم » الترمـــذى .

ونجد فى كتب الفقه كثيرا من المسائل المتعلقة بالدعاء وقد جمع ابن تيمية رحمه الله فى مجموع فتاويه حديثا متناثرا يمكن أن يجمع بعضه بعضا فيكـــون وافى الصورة عن الدعاء وكل ما يحتويه من معنى وآداب وتحديد أوقات وما ينجم عنه من آثار يكون فيها صفاء النفس وتزكية القلب وأخلاص العمل للحق تبارك وتعالى . وأكثر ما جاء الدعاء فى فتاويه ما نجده فى الجزء الاول حيث أعتبره ركنا من اركان العبادة التامة وعلق عليه بعدم الشرك وعدم جواز سؤال غير الله وفى الجزء الثانى والعشرين حيث الدعاء فى الصلاة وأهتم كثيرا بالدعاء باسماء الله الحسنى وصفاته سبحانه وتعالى .

نماذج الدعـــاء :

أ ــ من القرآن الكريم : نجد فى كتاب الله العزيز كثيرا من دعوات الانبيـــاء والصالحين كنوح وابراهيم وزكريا وأيوب وآسيا امرأة فرعون وهناك آيات كثيرة تشير الى هذه الادعية أضافة الى توجيه الله الرحيم بعباده الى دعوات ينقطعون فيها اليه ومن هذه الآيات :

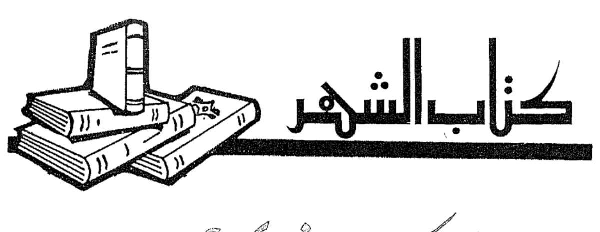
« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » البقرة/٢٠١

« ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » آل عمران « ربنا أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم » الحشر/١٠ .

ب ــ من الحديث الشريف : جاءت أحاديث كثيرة فى الدعاء نجد لها ابوابا خاصة فى كتب الحديث بل نجد كتبا قد افردت فى هذا الموضوع وكثير من دعـــاء الرسول صلى الله عليه وسلم بمثابة تعليم لنا لنتأسى به عليه الصلاة والســـلام ذلك لانه أوتى جوا مع الكلم ومن دعواته صلى الله عليه وسلم بعضا مما نذكره :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقـــول « اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » رواه مسلم .

وهكذا نجد ضرورة الدعاء لانه شعور العبد واقراره بكمـــال الله سبحانه فى صفاته فيدعوه العبد بطلب العفو والمغفرة والرحمة لانه الغفور الرحيم ويدعوه بطلب الرزق لانه الرزاق ويدعوه بالعافية وتيسير الاحوال والتوفيق لانه المنعم المتفضل الموفق والميسر الذى بيده كل شىء ومن هنا فالدعاء ســـلاح المؤمن وكيف لا يكون كذلك وهو مقياس للصلة برب العباد وهو سبيل الانقاذ من الموقف الرهيب العظيم يوم الحشر حيث أن المصطفى صلى الله عليه وسلم يسجد عند عرش ربه ويدعو بدعوات راجيا الرحمن الرحيم انهاء الموقف المزعج المريع وبذلك تتجلى للمؤمن حقيقة الدعاء وأثره فى حياته وسلوكه فاللهم أجعلنا من الداعين لك الراجين ثوابك وعفوك اللائذين بكنفك ففى دعائك الرحمة والعفو والمغفرة والسلامة في الدنيا والفوز بالآخرة ، اللهم آمين .



التسعير في الاسلام

تأليف الاستاذ البشرى الشوريجى

عرض ونقد : الاستــاذ محمــدالصفطاوى

ما كتبه المؤلفون وعلماء الاسلام حول ما هية الاقتصاد الاســلامى ومراحله وتطور نشأته لا يعدو أن يكون شذرات متفرقة ومقالات متناثرة رغم خصوبة الاسلام وسيولته فى هــذا المجال . ومن هنا ستظــل المكتبة الاسلامية فى فراغ حتى ينشط الباحثون من العلمــاء فى كشف النقاب عن خصوبة الاسلام فى هذا المجال .

وبين يدى الآن كتاب « التسعير فى الاسلام » دراسة وتأصيل لقضية التسعير الجبرى فى الفقه الاسلامى وهو وثيق الصلة بهذا الموضــوع لمؤلفه الاستاذ البشرى الشوريجى وكيل النائب العام ورغــم أختصار هذا الكتاب حيث يقع فى ١٥٥ صفحة من القطع الكبير الا انه كما قال المؤلف نفسه صورة هدانى ربى الى التقاطها من خفايا الفقه الاسلامى واعاننــى على ذلك بحث متأمل دؤوب فى بطون كتب الثقات من اعلام هذا الفقه فى القديم والحديث .

عــرض المــؤلف للنصــوص ثم استخلص منها الفكرة بقدر استطاعته ثم قسمه الــى مقدمـــة وفصلين وخاتمة .

بين فى المقدمة ان التعامل بيــن الناس سيظل قائما استجابة لدواعى الحياة بالفطرة والضرورة ودون تقيد بوقت أو مكان وحيث انه من مسلمات المنطق انه لا يطيب للمرء ان يشترى شيئا بأكثر من قيمته او يبيعه بأقــل

من قيمته حيث أن القيمة نفسها شىء نسبى يتفاوت بتفاوت الزمان والمكان وقوة الحاجة الى الشىء المطلوب .

لذا كان خيرا للمجتمع أن تكون قيم الاشياء محددة معينة واقرب الى الثبات والاستقرار . ثم بين أهمية التسعير الجبرى (رغم كونه قيدا تفرضه الدولة على حرية التعامل بين الافراد) لكنه من قبيل الضرورات اللازمة لعدالة المعاملات ولسلامة الحركة التجارية فى المجتمع بل هو من قبيل الواجبات الاولية التى يتعين على الدولة الوفاء بها منعا للاستغلال والجشع والاحتكار .

ثم عاد فبين أهمية البحث نفسه لانه تناوله من الناحية الفقهية فى الوقت الذى صارت فيه مبادىء الشريعة الاسلامية مصدرا رئيسيا للتشريع فى مصر والكويت وبعض البلاد الاسلامية .

وفى الفصل الاول ذكر المؤلف أن قضية التسعير فى الفقه الاسلامى يتجاذبها مذهبان :

مذهب يقول بمنع التسعير اطلاقا لفكرة الحرية والتراضى فى المعاملات واستنادا الى المفهوم المتبادر من بعض احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وبعد ان ذكر الأدلة مستوفاة مستخلصا آراء الفقهاء عاد فذكر (المذهب الثانى) القائل بجواز التسعير ناقش فى هذا المذهب الأدلة التى استند اليها القائلون بالجواز ثم عقد مقارنة جوهرية بين المذهبين خلص منها الى ترجيح الرأى الثانى وذلك لان العمدة فى المذهب القائل بالمنع هو الاستناد الى رفض الرسول عليه الصلاة والسلام للتسعير .

فحينما غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اصحابه يا رسول الله لو سعرت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله هو القابض الباسط الرازق المسعر وانى لارجو أن القى الله عز وجل ولا يطلبنى احد بمظلمة ظلمتها أياه فى دم ولا مال » . رواه أحمد وأبو داود وغيرها .

وحيث أن هذا الحديث ليس نصا فى المنع لان رسول الله لم يقل لا تسعروا بالنهى الصريح لذا كان الحديث محلا للاجتهاد فاذا اضفنا الى ذلك بساطة الحياة فى عهد الرسول وضعف النشاط الاقتصادى وقوة الوازع الدينى وتحقق التكافل الاقتصادى تلقائيا ثبت ترجيح المذهب القائل بالجواز .

ثم عاد المؤلف فبين فى المطلب الثانى من الفصل الأول أدلة تقوى هذا المذهب قال : ان الاحتكار محرم فى الاسلام بنصوص صريحة حاسمة يقول رسول الله فيما رواه عمر . « من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه » رواه أحمد وغيره .

والتسـعير لازم لمقاومة الاحتكـار وعلاجه فهو يرد على المحتكر قصده السيء فيقضى بنزع مـا أحتكـره ومصادرته ويسمح بمعاقبته جـزاء عدوانه على المصلحـة واضراره بحقوق المجتمع (وهـذا مذهب الجمهور) .

ثم يربط المؤلف بين الاحتكـار والتسعير بقوله : فاذا جاز نزع ملكية المحتكر جبرا عليه ، ومصادرتهـا تيسيرا على الناس فى الحصول على ما يحتاجون . أفلا يجوز من باب أولى فرض قيود على حريته فى تقدير أثمان ما يعرضه للبيع أو ما يمتلكه للتجارة (وهو معنى التسعير) .

بل إن التسعير أدنى درجـة من مصادرة اصل الملكية لانه تحـديد للسعر مع بقائه على ملك صاحبه .

وما زال المؤلف يتابع الحديث على وجوب التسعير مستدلا بأنه سـد للذرائع ، فما يؤدى الى الحرام يكون بدوره حراما فيمنع ثم يسوق الحديث الذى روى عن الرسول صلى اللـه عليه وسلم:« الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهـن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد أستبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيـه » متفق عليه .

هذا وقد اجمع الفقهاء على أن كل ما فيه مصلحة للناس أو دفـع مضرة عنهم يكون واجبا شرعا ، ولا شك أن التسعير قيد من قيود التجارة العادلة فهو سياسة لتحقيق المصلحة للجمهور ودفع ضرر الغلاء المثقـل عنهم .

واذا لم يوجد نص صريح يقطـع بتحريم التسعير أو النهى عنه فـى القرآن أو فى السنة واذا لم توجـد علة شرعية تدعو الى ذلك فالاجتهاد بالمصلحة مجمع عليه وهـى تقضى بالتسعير ثم حاول المؤلف أن يدفـع بعض شبهات قد يفهمها البعـض فقال :

وأما لفظ بعضهم بأن التسعيـر حرام فهو إما راجع الى خطئه فـى فهم المراد بالتسعير كسياسة شرعية واعتقاده بـأن التسعيـر دائمـا مظلمة .

أو الى ظنه خطأ أن حماية الملكية فى الاسلام مطلقة من كل قيد وأن الناس دائما مسلطون على اموالهم فى حرية لا حدود لها مع أن التسلط على المـال رهن بعـدم الاضرار بالآخرين .

أو بما رآه البعض من تـرك الأخذ بالاستحسان والمصلحة فـى الفقه الاسلامى ولكن اذا ثبت أن هذا المنع انما كان لغاية سامية هى منع الافراط فى القول فى دين الله بغير علم فاذا انتفى هذا القيد ثبت قول الجمهور بالمصلحـة المرسلـة والاستحسان .

ثم بين المؤلف فى الفصل الثانى أنه وقد رجح فى الفقه الاسـلامى

شرعية التسعير الا انه ليس واجبا فى كل الاحوال ذلك لانه ضرورة والضرورة تقدر بقدرها ثم عاد فبين الاحوال التى يجب فيها التسعير وذلك عندما يحتاج الى السلعة وعندما يتواطأ البائع ضد المشترين أو العكس .

هذه الحالات ذكرها المؤلف على سبيل المثال لا الحصر لان القاعدة العامة انه كلما كان مصالح الناس ومنفعتهم العامة فى التسعير تعين اتخاذه .

وفى المطلب الثانى بين اختلاف الفقهاء فى تحديد موضوع التسعير .
هل المطعومات هى التى تكون محلا للتسعير أو ينسحب ذلك على المكيل والموزون واللحوم والبقول والفواكه ؟

وبعد أن ذكر آراء الفقهاء فى هذا الموضوع قال : ومن العدل (وهو قوام المعاملات فى الاسلام) الا يمتنع التسعير عن سلعة ما طالما أن حاجة الناس اليها طعاما كانت هذه السلعة أو ثيابا أو غير ذلك لا تندفع (كما يقول ابن تيمية) الا بالتسعير .

ثم بين فى المطلب الثالث كيف رسم الفقه الاسلامى سياسة التسعير لان تقدير السلعة تقدر على العدل لاوكس ولا شطط على أن يستعان بأخذ رأى التجار . . ثم قال : والتسعير يضعه ويراقبه فى المجتمع الاسلامى ولى الحسبة أو المحتسب ويقدر الجزاء على مخالفته فى صورة ما يراه من التعزير ملائما ومحققا لايلام المتهم وردعه .

ثم قال فى خاتمة الكتاب : إن التنظيم الاسلامى لمسائل الاقتصاد والتجارة والمعاملات بصفة عامة بلغ الغاية فى الدقة والحكمة والابداع . والاسلام فى تنظيمه لهذه الشئون انما يطبعها بطابعه الروحى النبيل ويمزجها بما يلائم الاهتمامات الفطرية للانسان السوى من ايمان وعقيدة وهذا ما يكفل نجاح التشريع الاسلامى .

وقد اجمع الباحثون المنصفون على أن أرقى المذاهب والفلسفات تنتهى فى تطورها الى ما قررته الشريعة الاسلامية من مبادىء العدل والانصاف منذ أربعة عشر قرنا وموقف الفقه الاسلامى من مسألة التسعير الجبرى برهان على ذلك .

وبعد :

فالكتاب رغم اختصاره عرض لقضية التسعير عرضا مدعما بالأدلة مقرونا بالواقع ، احاديثه مخرجه ، ومراجعه اشار اليها وهذا جهد يشكر عليه المؤلف .

فهل لنا أن نقول : إنه اثرى المكتبة الاسلامية بهذا المؤلف . ؟

عموما شكر الله لهذه الأيدى التى امتدت الى تراثنا الاسلامى فأخرجت لنا هذه القطوف الدانية .

من القصص الإسلامي

الراعي الأسود

للأستاذ : حسين الطوخي

● انتهى التفكير بمحمد صلوات الله وسلامه عليه بعد صلح الحديبية، الى ضرورة القضاء الأخير على شوكة اليهود فى شبه الجزيرة العربية .

صحيح ان صلح « الحديبية » أمنه من قريش ومن الجنوب كله ، لكنه عليه الصلاة والسلام لا يأمن من ناحية الشمال أن يستعين هرقل قيصر الروم ، ولا يأمن من ناحية الشرق أن يستعين كسرى ملك الفرس ، بيهود خيبر ، وأن يحرك اى منهما فى نفوسهم ثاراتهم القديمة ، فيذكروا اخوانهم فى دينهم من بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وبنى قريظة ، وقد أجلاهم عن ديارهم بعد أن حصرهم بها ، وقاتلهم فيها ، وقتل منهم مئات وآلاف ، وسفك دماءهم جزاء لما اقترفوه من آثام فى حق المسلمين .

واليهود اشد من قريش عداوة للنبى محمد عليه الصلاة والسلام ومن معه من المسلمين ، لانهم أحرص منهم — من قريش — على دينهم ولأن فيهم ذكاء وعلما أكثر مما فى قريش . كذلك يملك اليهود فى شبه الجزيرة العربية وفى غيرها الكثير من المال والفضة والذهب ، ويتقنون

صناعة السلاح ، ويتاجرون فى كل شىء يملكونه أو يقع تحت ايديهم ، حتى الأعراض والذمم والضمائر يدخلونها الى اسواق تجارتهم ويساومون عليها بما يحقق لهم أوفر المنافع وقضاء المصالح ..

لذلك أصبح من العسير على الرسول أن يوادعهم بصلح كصلح الحديبية ، وأن يطمئن لهم بعد ان سبقت بينه وبينهم خصومات ووقعات لم ينتصروا عليه فى واحدة منها ..

ما اجدر اليهود اذن ان يثأروا لأنفسهم اذا هم وجدوا من ناحية «**كسرى**» مددا او من ناحية «**هرقل**» مؤازرة وحفزا ..

كان عليه الصلاة والسلام على يقظة تامة ووعى كامل وهو يخطط للقضاء على اليهود وكسر شوكتهم ، فلم يكن يستهين بشىء مما يملكونه وما يقع تحت نفوذهم ..

لم يغب عن فطنة الرسول القائد ، ان اليهود حينما تجمعوا فى «خيبر» بعد اجلائهم وطردهم من المدينة ، غدوا من اقوى الطوائف الاسرائيلية بأسا ، واوفرها مالا ، واكثرها سلاحا ومنعة وحصونا ..

فى تلك الايام الباهرة ، بعد انقضاء قرابة ستة عشر عاما على نزول الاسلام ، ايقن المسلمون بأنه طالما بقيت لليهود شوكة فى شبه الجزيرة ، ستظل المنافسة بينهم وبين الدين الجديد حائلا دون تمام الغلبة للمسلمين .

وقر فى قلب الرسول وفى ذهنه ، انه لا بد من القضاء على شوكة هؤلاء اليهود قضاء أخيرا لا تقوم لهم من بعد ببلاد العرب قائمة ابدا ..

ولابد كذلك من المسارعة فى ملاقاتهم قبل ان يحكموا تدبيرهم ، ويجهزوا صفوفهم ، ويرتبوا أمورهم لوقعة أخرى قريبة يتوجسون فيها ويوقنون بأن «محمدا» عليه الصلاة والسلام لن يسكت عليهم ، ولن يكتفى بأن أخرجهم من المدينة ، وكأنهم يسمعون المسلمين والعرب وهم يرددون : ليس يكفى ان تقطع راس الافعى ، وانما ينبغى أن تتبع راسها الذنب ..

فى تلك الأيام الباهرة والرسول القائد المحارب يخطط لغزو خيبر بمشاورة صحابته ، اخذ يتخير افذاذ رجاله واعوانه لهذه الغزوة ويدقق فى اختياره ، مرتكزا على حذره ويقظته ، مستلهما بعد نظره وحكمته..

حين أمر المسلمين بالتجهيز لغزو «خيبر» طلب الا يغزو معه الا من

شهد الحديبية ، أو ان يخرج معه من يحب الخروج ، غازيا متطوعـــا لا يرجو من الغنيمة شيئا ..

الا ما اعظم الغاية وما اسمى الهدف ..

الا ما اعظمه واشرفه من قائد تجرد من سفاسف الدنيا و[illegible] الحياة الرخية ليفارق المدينة بعد خمسة عشر يوما من عودته [illegible] الحديبية » ولما تزل على وجهه ووجوه صحابته واعوانه وعثاء الصحراء و[illegible] الطرق الجرداء ..

ايامئذ ، لم يخرج المسلمون مع قائدهم الحربى يبتغون [illegible] ارض يغتصبونها بلا حق ، أو يستعمرون بلادا جورا وعسفا ، أو يطمعون فى وسام يلحقهم ، او منصب ينتظرهم اذا عادوا ، انما كان خروجهم مـــع النبى القائد ـــ وقد وهبوا للموت انفسهم قبل الحياة ـــ من أجل نصرة دين حنيف قويم هو أرقـــى وأعظم دين يكرم به الانسان فى الدنيا وفـــى الآخرة .

وقفت قريش ، ووقفت شبه الجزيرة العربية كلها تتطلع الى هـــذه الغزوة الجبارة الجريئة المتحدية ، حتى لقد كان من قريش من تراهنوا على نتائجها ، واختلفوا فيمن تتم الغلبة لطرف من الطرفين .

كان الكثيرون من قريش ـــ وهم الحاقدون من أصحاب مراكز القوى التى أطاح بها النبى القائد ـــ يتوقعون أن تدور الدائرة علـــى المسلمين لما عرف من قوة حصون خيبر ومنعتها وقيامها فوق الصخور والجبال ، ولطول ممارسة اهلها للحرب والنزال .

انطلق المسلمون بقيادة الرسول القائد فى الف وستمائة محارب من الأشداء ومعهم مائة فارس ، وكلهم واثق بنصر الله ، وقطعوا مراحل الطريق ما بين المدينة وخيبر فى ثلاثة أيام لم تكن خيبر تحسهم اثناءها ، وان هو الا ان طلع فجر اليوم الرابع ، حتى كان جيش المسلمين قـــد وقف أمام حصونهم المنيعة .

وبينما عمال خيبر يخرجون الى مزارعهم يسحبون وراءهم ماشيتهم واغنامهم ، اذا بجيش المسلمين أمامهم يسد عليهم منافذ الطريق ، فمـــا لبثوا ان ولوا الأدبار يتصايحون : هذا محمد والجيش معه ! وقـــال الرسول حين سمع قولهم : الله اكبر خربت خيبر ! انا اذا نزلنا بساحة

قوم فساء صباح المنذرين .

وعلى الفور وزع الرسول القائد قواته من حول الحصون ، وحدد لكل قائد كتيبة واجبه وخطة عمله وأهدافه . .

تحدد لأبى بكر حصن « **ناعم** » ليفتحه فقاتل ورجع ولم يفتح الحصن .

وبعث الرسول عمر بن الخطاب فى اليوم التالى فكان حظه مثل حظ ابى بكر . .

فدعا الرسول اليه على بن ابى طالب ثم قال له : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك .

ومضى « على » بالراية ، فلما دنا من الحصن ، خرج اليه أهله فقاتلهم ، وضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده ، فتناول « على » بابا كان عند الحصن فتترس به واتخذه درعا له ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الحصن ، ثم جعل الباب قنطرة اجتاز المسلمون عليها الى داخل ابنية الحصن المنيع .

وتوالى بعد ذلك فتح حصونهم واحدا اثر آخر . سقط حصن « **القموص** » ثم حصن « **الصعب بن معاذ** » ثم حصن « **الزبير** » ثم حصن « **الوطيح** » ثم حصن « **السلالم** » وكان الحصنان الأخيران آخر حصونهم قوة ومنعة ، ووفرة مال ومئونة وسلاح .

وانهار سلطان اليهود السياسى بتمام انتصار المسلمين عليهم فى خيبر ، ولم تعد لديهم من قوة او شكيمة يتعرضون بهما للمسلمين بعد هذه الغزوة الباهرة التى كتب الله فيها النصر المؤزر للمسلمين . .

وآن للنبىعليه الصلاة والسلام أن يأخذ حظه من الراحة فى ذلك الغروب الأخير من أيام المعركة ، فانتحى وصحابته مكانا تظلله أشجار خيبر ، ويفوح من زهرها أرج طيب عذب ، وأخذ عليه الصلاة والسلام يتبادل وصحابته حديث السمر والذكريات مرها وحلوها ، بينما قادة الألوية يحصون شهداء المسلمين ويشرفون على دفنهم حيث ينزلون منازل الصديقين والأبرار . .

وبينما النبى فى سمره ومن حوله صحابته ، لمحوا شبحا يتمايل من بعيد يمنة ويسرة ، ويتقدم الى المكان متردد الخطى ويكاد أن ينكفىء على وجهه من فرط ما يعانى من إعياء وهزال .

وأراد نفر من الصحابة أن يقوموا اليه فيقتلوه خشـــية أن يكون خدعة من خدع الأعداء ، لكن النبى عليه الصلاة والسلام نهاهم عـــن قتله وطلب أن يترك وشأنه حتى يتبين لهم قصده ومأربه ..

ولما أصبح الرجل على قيد خطوات من الرسول وصحابته من حوله ؛ سمعوه يسأل :

— أين بالله ذلك الرجل .. نبى العرب الذى تتحدث الناس عنه ؟ يقولون انه هنا فى خيبر ..

ساعتئذ ، اشار الرسول الى الرجل أن يتقدم ليرى ما يسأل عنـــه رأى العين .

كان الرجل حبشيا اسود اللون ، شائه الخلقـــة ، اشعث الراس وتفوح من أدرانه رائحة نتنة كريهة تجزع منها النفس والعين والأنف حتى أخذ الصحابة يسدون أنوفهم ويلوحون بأيديهم تقززا ونفورا ..

قا ل الرجل : يا رسول الله ، إن اسلمت فما الذى ينالنى من أمر هـــذا الدين الذى تدعو الناس اليه ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : تكون لك الجنة .

قال الرجل : إذن فاعرض على الاسلام ..

قال النبى : قل ، اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله

ردد الرجل ما قاله النبى عليه الصلاة والسلام ، ثم عاود حـــديثه مع النبى فقال : فكيف أصنع مع صاحب الغنم وهى أمانة فى عنقى وهى للناس ، وفيهم فقراء يقتاتون من حليبها ويبيعون من نسلها ما يحفظ عليهم حياتهم ..

قال الرسول عليه الصلاة والسلام : نرد اليك غنمك لترجع الى أصحابها .

وصحب الرجل حارس من حراس الماشية التى غنمها المسلمـــون واخذ الراعى الاسود يشير الى غنمه حتى استوفى عددها كاملة غيـــر منقوصة ، وساقها الى مقربة من مكان النبى .

قال الرسول : أهذه غنمك كاملة ؟ قال الراعى : بلى يا سول الله

قال الرسول : اضرب فى وجهها فانها سترجع الى صاحبها .

فقام الأسود فأخذ حفنـــة من حصباء فرمى بها فى وجهها وقال : ارجعى الى صاحبك فوالله لا أصحبك .

ساعتئذ تحركت الغنم مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى بلغت أطلال حصن صغير تخرب اغلبه ، ولاذت به قلة من اليهود تركهم النبى لمـا رأى اغلبهم اضعف من ان يفعلوا شيئا ..

وفى صباح اليوم الجديد ، خرجت كتيبة من جيش النبى لتطهر احـد جيوب المقاومة فى طريق عودة المسلمين الى المدينة ، وكـان من بين جنودها راعى الغنم الاسـود ..

ودارت معركة ضئيلة بين فلول اليهود اليائسين وجنود النبـى المنتصرين تم القضاء فيها على ذلك النفر القليل من اليهود المعاندين .

وكانت ارادة الله ان يصاب الراعى الاسود بسهم لم يعرف راميـه فأصابه فى مقتل وخر صريعا لساعته وهو لم يسجد لله سجدة واحدة .

وحمل جنود الكتيبة جثمان الراعى الاسود الى حيث النبى ومعه نفر من صحابته ، لكن الرسول عليه الصلاة والسـلام اعرض عنه ولم ينظر اليه ، بل كانت عينـاه تتطلعان الى بضع سحابات بيضـاء تروح وتغدو فى الأفق البعيـد .

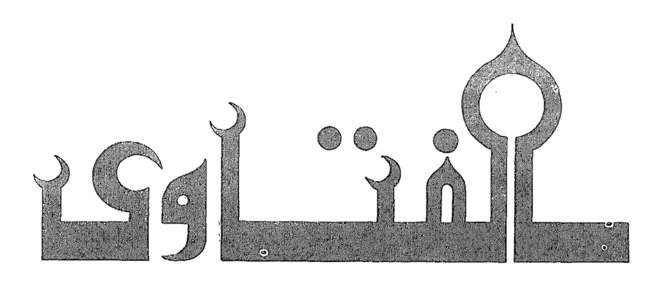
وسأل الصحابة الرسول عليه الصلاة والسلام : يا رسول الله ، لم اعرضت عنه وقد ابلى بلاء حسنا ؟

قال الرسول : أرى معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان له : ترب الله من ترب وجهك ، وقتل من قتلك .

وساعة أن حمل جثمان الراعى الاسود الى مرقده الاخير فى قبر حفر له الى جوار شهداء المعركة ، انبعثت من جسده رائحة زكية ، وكان هناك نور أبيض يلوح من داخل القبر ...

المراجع :

١ ــ « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل
٢ ــ السيرة الحلبيـة
٣ ــ شرح المواهب للزرقانى
٤ ــ البداية والنهاية لابن كثير .



السؤال : ما حكم صلاة من يقتل العقرب وهو فى الصلاة .. ؟

الجواب : الاسلام يوجب الدفاع عن النفس أمام أى عدوان سواء كان هذا العدوان من انسان أو حيوان . ولا شك أن العقرب من الحشرات الخبيثة التى يجب قتلها ، والمصلى فى هذه الحالة مخير بين أمرين : إما أن يقطع صلاته ويقتل العقرب ثم يستأنف الصلاة من جديد وبذلك أفتى بعض الفقهاء .
وإما أن يقتله وهو فى الصلاة فلا يقطع صلاته بل يستمر فى اتمامها وبذلك أفتى البعض الآخر من الفقهاء ، واستدل القائلون بهذا الرأى بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقتلوا الاسودين فى الصلاة الحية والعقرب) رواه أحمد وأصحاب السنن والحديث حسن صحيح وهذا من يسر الدين وسماحة الشريعة الاسلامية .

السؤال : ما الحكمة فى القراءة الجهرية فى المغرب والعشاء والفجر والسرية فيما عدا ذلك ؟

الجواب : الاصل فى الجهر والاسرار ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجهر بالقراءة فى الصلوات كلها فى بدء الدعوة وكان المشركون يؤذونه ويقولون لاتباعهم اذا سمعتموه يقرأ فارفعوا أصواتكم بالاشعار والاراجيز وقابلوه بكلام اللغو حتى تغلبوه فيسكت وكانوا يسبون من أنزل القرآن ومن انزل عليه ومن نزل به فأنزل الله تعالى فى سورة الاسراء « **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** » فكان بعد ذلك يخافت فى صلاة الظهر والعصر حتى لا يتعرض للايذاء ويجهر فى المغرب لاشتغالهم بالاكل وفى العشاء والفجر لنومهم واما الجهر فى الجمعة والعيدين لانه اقامهما بالمدينة .

وقد روى عن ابن عباس : لا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت بصلاة الليل وانه وان كان الحال قد تغير بالنسبة للسبب الذى من أجله كانت السرية والجهرية وذلك لقوة شأن المسلمين فان النبى صلى الله عليه وسلم مع قوة المسلمين فى عهده قد استمر على الصلاة الجهرية فى وقتها والسرية فى وقتها ولعله رأى فى النهار صخبا ولغطا وفى الليل هدوءا وتذكيرا للمسلمين فأصبح ذلك سنة فعلية استمر عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وعلينا أن نتبعه فيها .

السؤال : الاستماع الى الأغانى حلال أو حرام ؟

الجواب : الغناء منه ما هو حلال لا بأس بالاستماع اليه ، ومنه ما هو حرام يجب الابتعاد عنه ، فمن النوع الحلال ما كان بانشاد شعر لا فجور فيه ولا يدعو

الى معصية وبصورة ليس فيها تخنث أو تكسر وليس فيها اظهار لما أمر الله بستره وذلك مثل ما كان العرب يستعملونه فى حداء الابل فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يستمع الحداء ويطلب من احد الصحابة ان يحدو بهم فى السفر .

ومن الغناء المباح غناء المرأة لزوجها وأولادها ومنه الغناء فى الاعياد والعرس وقدوم الغائب وفى وقت الوليمة والعقيقة بحيث لا يصاحب هذا الغناء شىء من المحرمات .

أما اذا كان الغناء يغرى بالفتنة ويستثير الغريزة ويطغى فيه الجانب الحيوانى على الجانب الروحى إما عن طريق موضوع الأغنية أو كلماتها المثيرة أو عن طريق الاداء وذلك بالتكسر والتميع والحركات الفاتنة فالاستماع الى هذا اللون من الغناء حرام ، وفتح لباب الفتنة على الدين والخلق — كما يحرم الغناء اذا اقترن بمحرمات أخرى كأن يكون فى مجلس شرب أو تخالطه خلاعة أو فجور من النوع الذى توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله وسامعيه بالعذاب الشديد حين قال (يشرب ناس من أمتى الخمر ، يسمونها بغير اسمها يضرب على رءوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل الله منهم القردة والخنازير) رواه ابن ماجة وابن حيان فى صحيحه وقد يكون المراد بالمسخ هو مسخ النفس والروح فيحملون فى صورة الانسان نفس القرد وروح الخنزير .

السؤال : ما حكم تقصير الشعر للمرأة ؟

الجواب : تقصير المرأة شعرها بحيث يكون خفيفا ليسهل عليها العناية به أو بقصد التجمل لزوجها لا حرج فيه ما دامت لم تقصره بقصد التشبه بالرجال لأن المرأة لا يحق لها أن تتشبه بالرجال ، أما تقصيره على الطريقة الخاصة بالنساء فهو جائز على أصل الاباحة على شرط الا يقوم بالتقصير رجل ، وقد ورد فى صحيح مسلم أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم (كن يأخذن من رءوسهن حتى تكون كالوفرة) والوفرة : الشعر المحاذى لشحمة الأذن .

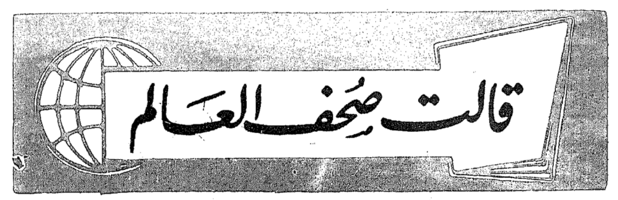
السؤال : سمعت رجلا كان يجلس فى المسجد الحرام يقول وهو يشير الى الكعبة : (والكعبة المشرفة ما حصل منى كذا) فما حكم هذا القسم ؟

الجواب : الحلف بغير الله حرام ، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقد ورد فى حديث رواه مالك والبخارى ومسلم وابو داود والنسائى وابن ماجة . عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » .

السؤال : ماتت امرأة وتركت زوجا وابوين فقط فما نصيب كل ؟

الجواب :

للزوج : النصف ، وللأم ثلث الباقى وللأب ما تبقى بعد ذلك . وهذا رأى الجمهور وهو الأصح .



المهام الصحية فى الحكومة النبوية

تحت هذا العنوان نشرت مجلة (حضارة الاسلام) السورية مقالا مطولا عالج فيه الكاتب المهام الصحية فى العصر النبوى .. وأبان أن الاسلام قد عنى عناية بالغة بالصحة والحفاظ عليها .. وأنه قد سن من القوانين والتشريعات والمبادىء ما يحفظ على الأمة شبابها وصحتها .. والاسلام بذلك يكون قد حقق قبل عدة قرون ما تنادى به منظمات الصحة العالمية فى عصرنا هذا ..

ففى مجال التخطيط الصحى الوقائى يقول الكاتب :

لقد خطط الاسلام لنشر التعاليم الصحية وتطبيقها على اتباعه وتخطيطا يجعل المسلم المتدين المتمسك بشرع الله تعالى مطبقا لها ومتقبلا الوصايا الصحية المبنية على ما جد من ابحاث واكتشافات تطور فن الصحة وترقيه .

واليكم أهم الأسس فى ذلكم التخطيط :

١ — الاهتمام بالنظافة والطهارة فى الجسم والملبس والمسكن والطريق لأن الطهارة والنظافة من سيماء الجمال والكمال ، ولأن الاقذار والنجاسات هى المصدر الرئيسى للجراثيم عوامل الأمراض ولذا اشترط الاسلام الطهارة لصحة الكثير من عباداته ، وجعلها بابا من أبواب المغفرة الالهية ، وصدق الله العظيم : (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) .

٢ — سن تشريعات من شأنها وقاية المياه من التلوث . من هذه التشريعات:

١ — النهى عن ادخال المستيقظ يده فى الاناء قبل أن يغسلها .

٢ — تنظيم استعمال اليدين بابعاد اليد اليمنى عن مجالات الأقذار والتلوث وان كان التطهير يشملها .

٣ — والنهى عن التنفس فى اثناء الشرب وعن النفخ فيه .

٤ — الأمر بتغطية الاناء وربط السقاء .

٥ — النهى عن الاغتسال فى الماء الراكد .

٦ — النهى عن التبول والتبرز فى الماء وقرب الموارد .

٧ — الحكم بنجاسة سؤر الكلب والتشديد فى تطهير ما ولغ فيه أو تنجس به وقد جعل الاسلام اقتناء الكلاب للضرورة وفى أضيق الحدود . وفى ذلكم سبق علمى حيث لم يدرك سره الا بعد مضى اكثر من عشرة قرون أى بعد اكتشاف سؤر الكلب وما تنجس بالكلب المصاب بديدان (الشريطية المكورة المشوكة) هما السبب فى أصابة الانسان بداء الكيس المائى (أو الكلبى) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (طهور اناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب) وقال عليه الصلاة والسلام : (من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فانه ينقص من أجره قيراطان كل يوم) .

٣ — تحريم الخبائث من المطعومات والمشروبات كالميتة والدم ولحم الخنزير والخمر .

ولقد أشار القرآن الكريم الى أن تحريم الخبائث هو من مهمات رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام ، وذلك فى قوله تعالى : (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) وأن الطب الحديث يؤيد ذلك التحريم ويوضح اضرار تلك المحرمات بصحة الانسان . ولبيان ذلك مقالات خاصة .

٤ — تحريم الفواحش :

قال تعالى : (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) فحرم بذلك الاتصالات الجنسية غير المشروعة ما جرى منها علانية وما جرى سرا وما كان فى عالم الحس والظاهر وما كان مستترا فى النية والضمائر ، وذلك لأن العفة صفة خلقية راقية وطريق محفوظ تقى من الأمراض الزهرية ومن التدنى الخلقى والفساد الاجتماعى كما تقى من تحطيم كثير من الأسر .

٥ — دمج بعض المناهج الصحية فى صلب العبادات أو اشتراطها لها كاشتراط الطهارة لصحة كثير من العبادات . بل انا لنجد فى العبادات علاوة على الفوائد الروحية والاجتماعية فوائد صحية غير الطهارة ، مثلا نجد فى الصلاة رياضة غريزية وأوضاعا صحية قويمة ، ونجد فى الصيام حمية وقائية لجميع من فرض عليهم وحمية علاجية لبعضهم .

٦ — اثارة الاهتمام بالصحة والعافية والحرص على ما ينفع :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا) وقال عليه السلام : (المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ..)

٧ — بث الوعى الصحى فى المجتمع :

وذلك بالارشاد والتنبيه والتعليم . واشير هنا الى ان الارشاد الصحى فى الاسلام السائد فى العالم اجمع زمن الوحى الكريم ، وكان من تعاليم رسول الاسلام صلوات الله عليه ما هو ابداع لم يسبق لمثله . ثم جاء العلم الحديث بعد أكثر من عشرة قرون مؤيدا تلك الارشادات ، مثيرا فى المطلع أعجابا بما يراه من سبق علمى دال أيضا على صدقه صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله حقا ، وما أكثر الادلة والبراهين على ذلك ، وصدق الله العظيم : (وما ينطق عن الهوى أن هو الا وحى يوحى) .



القــرآن اول من نبه الى سكينة النفس

حول سكينة النفس وأثرهــا على الانسان فى صــحته وعمـــله ، وكيف أن صاحبهــا بمنأى عن الاضطراب العصبى ، سعيدا فى كل أحواله . . راضيــا كل الرضا بما قسم الله له . .

كتب القارىء الفاضل مصطفى محمد الفار : يقــول : ــ

لقد اثبت اتســاع آفاق العلم فى العصر الحديث أن كل ما جاء به التقدم الفكرى فى العلوم له أصل فى القرآن الكريم ، وأنه حتى ما استحدث من علوم فى الآونة الأخيرة قد جاء بها القرآن موجها النظر اليها ، او هادفا بآياته اليها او موضحا اساسها ، وهكذا يتحقق وجه من أوجه الاعجاز القرآنى الا وهو الاعجاز العلمى ، واذا كان علم النفس يعتبر من ضمن العلوم الحديثة التى لاقت اهتماما بالغا فى العصر الحديث لصلته بالجسم والروح ، فان القرآن الكريم قد جاء بما يمكن أن يكون القواعد الاساسية لهذا العلم .

فالآية الرابعة من سورة الفتح نصها (هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) .

وفى سورة التوبة يقول القرآن الكريم فى الآية السادسة والعشرين (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) .

وتتكرر الآيات التى تبشر من وهبهم الله سكينة النفس حتى أنها بعد الموت ترجع الى ربها راضية مرضية كنص الآية السابعة والعشرين من سورة الفجر التى تقول (يا أيتها النفس المطمئنة أرجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) .

هذه الآيات ومثلها تقرر أن سكينة النفس احدى هبات الله التى يهبها لمن شاء من عباده المؤمنين لتزيدهم إيمانا . .

والمؤمن هو الذى آمن بالله حق الايمان ، فان أصابه خير اطمأن به وشكر الله عليه ، وان أصابه الشر صبر ولم يجزع منه ودعا الله أن يخفف عنه ويرى ان كل ما فى الوجود من الله والى الله ، يؤمن بأن رزقه وعمره وأولاده انما هى امور ارادها الله فلا يزلزله الشر ولا يطغيه الفرح . هذا المؤمن وقد وهبه الله سكينة النفس أصبح متمنعا على القلق ، بعيدا عن الاضطراب العصبى الـذى يسببه الفرح أو الحزن ..

هذا المؤمن وقد وهبه الله سكينة النفس لا يعانى الخوف ابدا .. ذلك الذى انتشر فى العصر الحديث انتشارا مروعا وتعددت اسبابه ، واشكاله فالخوف من الموت .. ومن المرض .. ومن الجنون .. ومن المجهول .. أيا كان المجهول . !!

ويعتبر القرآن الكريم أول كتاب فى العالم نبه الأذهان الى سكينة النفس واهميتها ونتائجها وجعلها من سمات المؤمنين .

وقد كتب عنها فى السنوات الأخيرة عشرات الكتب بعد ان اصبحت النفس موضع اهتمام الاطباء والعلماء .

١ ــ اثبت الأطباء ان الأمراض التى ليس لها سبب عضوى ، سببها النفس بل واخطر من ذلك أن معظم الامراض العضوية سببها كذلك النفس ، وقد أمكن للأطباء أن يربطوا بين مظاهر الامراض والقلق النفسى ، فوجدوا أنه حتى أمراض ضغط الدم والشلل ، والذبحة ، والموت المفاجىء لها صلة بالحالة النفسية .

٢ ــ وليت أمر النفس وسكينتها يقف عند حد مرض الانسان وشفائه .. بل يقرر علماء الاجتماع ان حوادث العمل واصابات العمال انما ترجع الى النفس الحائرة ، وان صاحبها اقل انتاجا فى عمله ، واكثر تعرضا للخطر من جراء اصابات العمل التى هو سببها . ولذلك فان المؤسسات والشركات تهتم بمقابلة موظفيها وعمالها قبل تعيينهم وتعرضهم على علماء النفس ليختاروا من بينهم اكثرهم سكينة فى نفسه ، واقلهم قلقا ، وهكذا تفتح سكينة النفس أمام صاحبها وسائل العمل .

اما فى مجال التجارة فكلنا يعلم كم من تاجر فقد سكينة النفس ففقد عملاءه وفقد ماله .. فليس هناك من يحتمل أن يناقش من يعانى قلقا أو أضطرابا ، وليس هنالك فى الحياة من يمكنه أن يعيش منفردا ..

من هنـــا نرى ان سكينة النفس هى خير عطاء من الله لعباده وقـــد سبق القرآن العلم بعشرات المئات من السنين فى بيان فضلها ، وكيف أن الله قد وهبها للأخيار من عباده ، لتنجيهم من كل شر فى الحياة ، وتهيىء لهم السعادة والصحة، ولذلك فإنه وهبها للمؤمنين عندما أخلصـــوا للرسول فى بيعتهم له كنص الآيـــة الثامنة من سورة الفتح (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) .



إعداد : فهمى الامام

عبد الله بن رواحة

حياته ملحمة من ملاحم البطولة والتضحية والجهاد .. كان رضى الله عنه سهما فى صدر الكافرين والمشركين .. قاتلهم بالكلمة الصادقة .. فكان لها وقع أليم فى نفوسهم ورماهم بسيفه ورمحه دفاعا عن الاسلام والمسلمين وحتى تكون كلمة الله هى العليا .. وقدم نفسه رخيصة فى سبيل الله .. فاستحق البشارة فى قوله تعالى : **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** .

فليكن للمجاهدين ضد الباطل فى كل عصر قدوة حسنة فى عبد الله بن رواحه رضى الله عنه .

اسمه : عبد الله بن رواحه بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو .. ينتهى نسبه الى الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصارى الخزرجى .

أمه : كبشة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة خزرجية ايضا .

كنيته : ابا محمد .. وكان يكنى بأبى رواحه .. واحيانا : بأبى عمرو .. وهو ليس له عقب .

مكانته : صحابى جليل من الامراء والشعراء .. كان يكتب فى الجاهلية .. وكان رضى الله عنه من السابقين الأولين من الأنصار فهو أحد النقباء الاثنى عشر ، وشهد العقبة مع سبعين من الانصار ، وآخى النبى بينه وبين المقداد .. واستخلفه النبى على المدينة فى احدى غزواته .. وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم .



صـــــفته : روى عن امرائه انها قالت : كان اذا اراد ان يخرج من بيته صلى ركعتين واذا دخل بيته صلى ركعتين لا يدع ذلك .

روايته للحديث : كان رضى الله عنه راويا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى عنه ابن عباس ، واسامة بن زيد ، وأنس بن مالك .

فى عمرة القضاء : لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة معتمرا كان ابن رواحة بين يديه ينشد قائلا :

خلوا بنى الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر : يا ابن رواحة أفى حرم الله وبين يدى رسول الله تقول هذا الشعر ؟

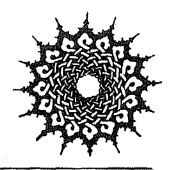
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خل عنه يا عمر فوالذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل .

غـــزواته : شهد بدرا .. وهو الذى جاء ببشارة النصر فى وقعة بدر الى المدينة ، وشهد احداً والخندق والحديبية .. فلم يتخلف رضى الله عنه عن غزوة فى سبيل الله .. وكان احد الأمراء فى موقعة مؤتة .. (وهى قرية على مشارف الشام) وفى هذه الموقعة ابلى المسلمون بلاءً حسنا .. فقد قال رسول الله للجيش الخارج الى الجهاد : (امير الناس زيد بن حارثة، فان قتل فجعفر بن أبى طالب ، فان قتل فعبد الله ابن رواحة) .

وناداهم المسلمون وهم يشيرون اليهم : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، وردكم الينا صالحين .

فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرع تقذف الزبدا



او طعنــة بيــدى حران مجهــزة
بحــرية تنفــذ الأحشاء والكبـــدا
حتى يقــال اذا مروا على جــدثى
أرشده الله من غــاز وقد رشـــدا

ســلاح المؤمن : وسار الجيش المسلم حتى وصل قريبا من مؤتة .. فلمــا علم بعدد الروم وعتادهم .. قالوا نرسل الى رسول اللــه صلى الله عليه وسلم نستشيره فانهم يفوقوننا عددا وعدة . فقال عبد الله بن رواحــة :

يا قوم ، والله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبــون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ، ولا كثرة ، وما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله ، فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين ، اما ظهور أو شهادة .

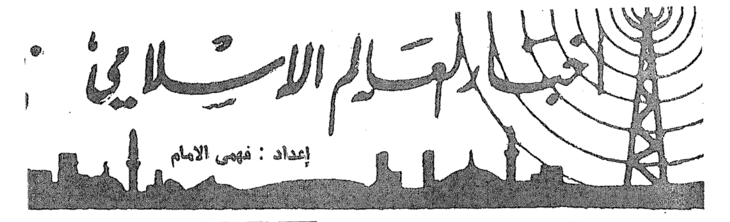
وفـــــاته : دارت الحــرب .. وحمى الوطيس .. واشتد القتــال .. فاستشهد زيد بن حارثة .. وحمل الراية بعده جعفر بن ابى طالب .. وظل يقاتل حتى نال الشهادة فى سبيل الله .. ثم جاء عبد الله بن رواحة .. فدفع بنفسه فى أتون المعركة .. لا يبالى بشىء ولا يهاب الموت فى سبيل الله ..

واخــذ يقول :

اقســمت يا نفســى لتنزلنـــه
لتنزلن أو لتكرهنـــــــــه
ان اجلب النــــاس وشدوا الرنة
مالى اراك تكــرهين الجنـــة
قد طــــال ما قد كنت مطمئنـــة
هــل أنت إلا نطفــــة من شنــة

ثم نال الشهادة فى سبيل الله ..

فرضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله صلى اللــه عليــه وسلم .



الكويت :

● قام سمو امير البلاد المعظم بزيارة رسمية وخاصة للجمهورية الفرنسية على رأس وفد كويتي ضم عددا كبيرا من المرافقين .

● سيقوم سمو الأمير المعظم بزيارة المملكة المغربية الهاشمية بناء على دعوة من الملك الحسن .

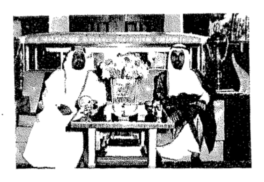
● زار البلاد الرئيس محمد أنور السادات على راس وفد مصري في الفترة الواقعة بين ١٢ و ١٤ من مايو .. وذلك في بداية جولته التي شملت بالاضافة الى الكويت : العراق والاردن وسوريا . وقد اجتمع سيادته الى سمو امير البلاد المعظم .. وتباحثا في القضايا التي تهم البلدين ..

● قام سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد بزيارة رسمية على رأس وفد كويتي كبير .. شملت دول الخليج العربي .. فزار دولة البحرين ، ودولة الامارات العربية المتحدة ، ودولة قطر .. وتباحث مع المسؤولين فيها في الشؤون الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تهم منطقة الخليج العربي ..

● قام بزيارة الكويت العقيد موسى تراوري رئيس جمهورية مالي ، وقد اجتمع الى سمو امير البلاد المعظم .. وتناولت المباحثات العلاقات بين البلدين ووسائل تدعيمها .



سمو امير البلاد المعظم وهو يودع الرئيس انور السادات لدى مغادرته البلاد ، بعد زيارة للكويت دامت ثلاثة ايام .



سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الأحمد وصاحب السمو أمير دولة البحرين في قصر الرفاع .



رئيس دولة الامارات العربية المتحدة يتحدث الى سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء قبيل مغادرة سموه مطار ابو ظبي متوجها الى دبي ضمن برنامج زيارته الرسمية لدولة الامارات العربية المتحدة .

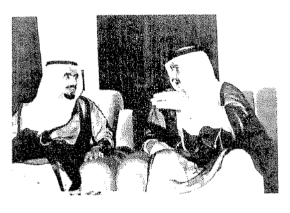
● وافق مجلس الوزراء على مشروع قانون بانشاء وكالة الانباء الكويتية الجديدة ، وستكون فى شكل مؤسسة عامة .

● صرح وزير العدل والاوقاف والشؤون الاسلامية السيد عبد الله المفرج بأنه بصدد طرح مناقصة انشاء ٤٠ بيتا للأئمة ، وأنه سيتم انشاء مساجد جديدة ، وصيانة المساجد الحالية ، وسوف يعيد النظر فى مشروع الموسوعة الفقهية ، وسيتم اصدار ملحق خاص بالشباب لمجلة الوعى الاسلامى . وقال الوزير : ان مجلس الوزراء وافق على دعم جديد للصندوق الطبى لغير الكويتيين بمبلغ ٢٠ الف دينار .



● قام الاستاذ يعقوب غنيم وكيل وزارة التربية بزيارة دار القرآن الكريم التابعة لوزارة العدل والاوقاف والشؤون الاسلامية للوقوف على سير الدراسة فى الدار وكان يرافقه الاستاذ عبد الرحمن الفارس وكيل الوزارة المساعد للشئون الادارية والشيخ حسن مناع مدير الدار .

● طالب احد اعضاء مجلس الأمة الكويتى ببناء ستة مساجد فى منطقة الرقة توزع على القطع الست التى تتكون منها المنطقة .



قام سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الأحمد بزيارة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى بمكتبه بقصر الدوحة حيث سلم لسموه رسالة من حضرة صاحب السمو امير دولة الكويت المعظم .



احتفل مؤخرا بتخريج دفعة جديدة من خريجى الكلية العسكرية وذلك برعاية صاحب السمو أمير البلاد المعظم . ويبدو فى الصورة سمو الأمير والى جانبه سمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء ، ورئيس مجلس الامة والمستشار الخاص لسمو الأمير .

السعودية :

● عقد مؤتمر قمة مصغر فى الرياض بدعوة من الملك خالد بن عبد العزيز وبحضور الرئيس أنور السادات ، والرئيس حافظ الاسد .

● أعلن الملك خالد والرئيس السادات والرئيس الاسد تصميمهم على عدم السماح بأن يعود الوضع

فى المنطقة الى حالة اللا حرب واللا سلم التى كانت سائدة قبل حرب رمضان .

● أعلن الامير فهد بن عبد العزيز ولى العهد النائب الاول لرئيس الوزراء أن العرب اتخذوا لكافة الاحتمالات عدتها .

● اتفقت السعودية ومصر ودولة الامارات وقطر على اقامة مؤسسة مشتركة برأسمال مليون دولار وذلك لتطوير الصناعات — بما فى ذلك صنع الاسلحة — وسيكون مقر المؤسسة فى القاهرة .

مصر :

● سيبقى فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر فى منصبه بعد بلوغه الخامسة والستين .. وذلك تقديرا لخدماته الدينية والعلمية .

● استقبل الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الاوقاف وشؤون الازهر بعثة الشؤون الاسلامية بماليزيا التى زارت القاهرة لدراسة نظم الاوقاف والدعوة الاسلامية .

● يجرى الازهر امتحانات مسابقة البعثات الى الدول العربية والاسلامية لشغل مراكز التدريس والوعظ الشاغرة فيها ، وتقدم للمسابقة ٧٠٠ مدرس فى مختلف العلوم و ٢٠ واعظا ، ويمتحن المتقدمون فى القرآن الكريم والمواد العامة .

● تابع شيخ الازهر انشاءات جامعة الازهر بطنطا ، بلغت تكاليف انشائها نحو مليون جنيه ، ومن المقرر ان تبدأ الدراسة — باذن الله — بكليتى الشريعة واصول الدين .

● قررت الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم اقامة مؤتمر قرآنى كبير تدعو اليه كبار العلماء والهيئات القرآنية ورجال الدولة والدول الاسلامية ورجال الاعلام .

● تبحث وزارة السياحة تكوين شركة دولية مساهمة لبواخر السياحة الاسلامية تتولى اعداد وتجهيز ٤ بواخر ضخمة — كمرحلة أولى — تخصص لنقل الحجاج وتنظيم الرحلات السياحية لاشهر المعالم الاسلامية ، وخدمة مسلمى دول ساحل غرب أفريقيا والامريكتين وأوروبا ودول شرق آسيا .

أبو ظبى :

● أقر المجلس الاعلى لدولة الامارات المتحدة توحيد القوات الدفاعية للامارات فى جيش اتحادى واحد ، يكون له الحق فى حيازة الاسلحة الجوية والبرية والبحرية .

● أصدر الشيخ زايد بن سلطان قرارا بانشاء مجمع سكنى منفصل للعزاب العرب والاجانب العاملين فى (أبو ظبى) ، ويبلغ عدد العزاب الذى يستوعبهم المجمع ٤ آلاف عازب .

لبنان :

● شنت اسرائيل اعتداءات متكررة على جنوب لبنان .. وقامت بخطف عدد من الاهالى الامنين .. كما استخدم فى اعتداءاتها الطائرات والدبابات .

فلسطين :

● هاجم الفدائيون الفلسطينيون مبنى الكنيست الاسرائيلى ، كما شنوا هجوما جريئا على مبنى لضباط المخابرات الاسرائيلية ، وكبدوا العدو خسائر فادحة .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

الأيام الأسبوع	جمادى ٢ ١٣٩٥	يونيو ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
				فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
ثلاثاء	١	١٠	٣٠٤	٢٧ ٨	٢ ١٠	١ ٥	٣٦ ٨	٣٣ ١	١٣ ٣	٤٨ ٤	٤٧ ١١	٢٢ ٣	٤٦ ٦	١٩ ٨
اربعاء	٢	١١	٣٠٥	٢٦	١	١	٣٥	٣٣	١٣	٤٨	٤٨	٢٢	٤٧	٢٠
خميس	٣	١٢	٣٠٦	٢٥	١	١	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٨	٢٢	٤٧	٢٠
جمعة	٤	١٣	٣٠٧	٢٥	١	١	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٨	٢٢	٤٧	٢٠
سبت	٥	١٤	٣٠٨	٢٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٨	٢٣	٤٨	٢١
احد	٦	١٥	٣٠٩	٢٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٨	٢٣	٤٨	٢١
اثنين	٧	١٦	٣١٠	٢٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣	١٢	٤٨	٤٩	٢٣	٤٨	٢١
ثلاثاء	٨	١٧	٣١١	٢٣	٥٩ ٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٨	٤٩	٢٣	٤٩	٢٢
اربعاء	٩	١٨	٣١٢	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٤٩	٢٣	٤٩	٢٢
خميس	١٠	١٩	٣١٣	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٤٩	٢٣	٤٩	٢٢
جمعة	١١	٢٠	٣١٤	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٤٩	٢٤	٥٠	٢٣
سبت	١٢	٢١	٣١٥	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٥٠	٢٤	٥٠	٢٣
احد	١٣	٢٢	٣١٦	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٢	٤٩	٥٠	٢٤	٥٠	٢٣
اثنين	١٤	٢٣	٣١٧	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٣	٥٠	٥٠	٢٤	٥٠	٢٣
ثلاثاء	١٥	٢٤	٣١٨	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٣	٥٠	٥٠	٢٤	٥٠	٢٣
اربعاء	١٦	٢٥	٣١٩	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٣	٥٠	٥١	٢٥	٥١	٢٤
خميس	١٧	٢٦	٣٢٠	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٣	٥٠	٥١	٢٥	٥١	٢٤
جمعة	١٨	٢٧	٣٢١	٢٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣	١٤	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
سبت	١٩	٢٨	٣٢٢	٢٤	٠٠ ١٠	٠٠	٣٤	٣٣	١٤	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
احد	٢٠	٢٩	٣٢٣	٢٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣	١٥	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤
اثنين	٢١	٣٠	٣٢٤	٢٤	٠٠	٠٠	٣٤	٣٣	١٥	٥٢	٥٢	٢٥	٥١	٢٤
ثلاثاء	٢٢	يوليو	٣٢٥	٢٥	١	١	٣٥	٣٣	١٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
اربعاء	٢٣	٢	٣٢٦	٢٥	١	١	٣٥	٣٣	١٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
خميس	٢٤	٣	٣٢٧	٢٦	١	١	٣٥	٣٣	١٧	٥٣	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
جمعة	٢٥	٤	٣٢٨	٢٦	٢	١	٣٥	٣٣	١٧	٥٣	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
سبت	٢٦	٥	٣٢٩	٢٧	٢	١	٣٥	٣٣	١٨	٥٣	٥٢	٢٦	٥١	٢٤
احد	٢٧	٦	٣٣٠	٢٨	٣	٢	٣٦	٣٣	١٩	٥٤	٥٣	٢٧	٥١	٢٣
اثنين	٢٨	٧	٣٣١	٢٨	٣	٢	٣٦	٣٣	١٩	٥٤	٥٣	٢٧	٥١	٢٣
ثلاثاء	٢٩	٨	٣٣٢	٢٩	٤	٢	٣٦	٣٢	٢٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٣
اربعاء	٣٠	٩	٣٣٣	٣٠	٥	٣	٣٧	٣٢	٢٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٢

« إلى راغبي الاشـــتراك »

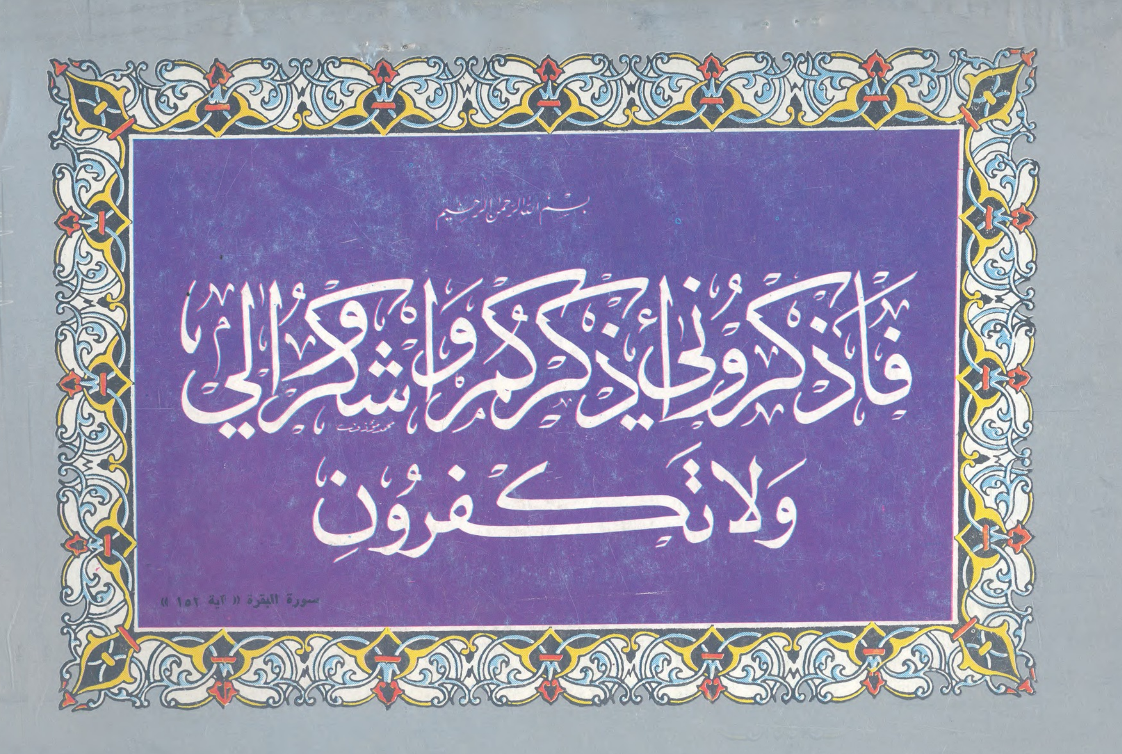
تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة ، ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب ٢٤٤٨ بيروت ــ لبنان أو بمتعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبـــار ٧ شارع الصحافة .
السودان	:	الخــرطوم : دار التــــوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجاني ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغـــازي : مكتبـــة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
المغـرب	:	الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكي .
تونـس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شارع فرنســا .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
الأردن	:	عمان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جـــدة : مكتبـــة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الريـــاض : مكتبـــة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافيـــة ــ ص.ب : (٧٦) . الطـــائف : مكتبـــة الثقـــافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكـــة المكرمـــة : مكتبـــة الثقـــــافة . المدينـــة المنـــورة : مكتبـــة ومطبعـــة ضـــياء .
العـــراق	:	بغـــداد : وزارة الاعـــلام ــ مكتب التوزيع والنشـــر .
البحـــرين	:	المكتبـــة الوطنيـــة : شـــارع باب البحـــرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العـــروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبي	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــي	:	مكتبـــــة دار الحكمـــــة ص.ب : (٢٠٠٧) .
الكـــويت	:	مكتبـــــة الكـــــويت المتحـــــــدة .

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

الثمـــن

● الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
● ليبيـــا ١٠ قروش ● تونـــس ١٢٥ مليمـــا ● الجـــزائر دينـــار وربع
● المغرب درهم وربع ● الخليج العربي ٧٥ فلسا ● اليمن وعـــدن ٧٥ فلســـا
● لبنـــان وســـوريا ٥٠ قرشـــا ● مصـــر والســـودان ٤٠ مليمـــا


بسم الله الرحمن الرحيم
فاذكروني أذكركم واشكروا لي
ولا تكفرون
سورة البقرة « آية ١٥٢ »